حوارٌ عن الثالوث

دكتور جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

حوارٌ عن الثالوث

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

اسم الكتاب : حوار عن الثالوث
المؤلف : الدكتور جورج حبيب بباوي
الناشر : جذور للترجمة والنشر والتوزيع
الطبعة : يناير ٢٠١٦.
المطبعة : جي سي سنتر - مصر الجديدة
رقم الإيداع : ٢٠١٥/٢٦٥٩٣
الترقيم الدولي ISBN : 978-977-5086-14-3

الحوار الأول

قال لي صديق إن المسيحية هي ديانة مليئة بالمتناقضات، وعندما طلبت منه أن يعطي لي مثلاً واحداً عن هذه المتناقضات، لم يجد صديقي سوى عقيدة الثالوث، وقال لي هل يوجد تناقض أكثر من هذا وهو أن الواحد = ثلاثة.

ولمحت على الفور مشكلة صديقي وهي: –

أنه يأخذ مفردات اللغة بشكل حسي ومادي رغم أن مفردات اللغة ما هي إلا رموزٌ لحقائق، ولكن صديقي ظن أنني أحاول الابتعاد عن مناقشة عقيدة الثالوث، والدخول في مجال فلسفة اللغة، ولكنني حاولت جاهداً أن أوضح لصديقي عمق ودقة هذه العقيدة عن طريق الحوار ...

جرجس: إذاً أنت ترى أن التناقض بين الواحد والثلاثة هو تناقض عددي، أي تناقضاً مبنياً على معرفتنا بقواعد الحساب، هل أنا على صواب؟

إبراهيم: نعم، فليس من المنطق أن يكون الواحد ثلاثة، إمَّا أنه واحد وإمَّا أنه ثلاثة.

جرجس: ولكنني أرى أن قواعد الحساب لا يمكن أن تطبق على الله بالمرة؛ لأنها خطيرة وتهدد عقيدة التوحيد أيضاً.

إبراهيم: كيف؟

جرجس: بكل سرور سوف أبين لك أن الله، بشكل حسابي، لا يمكن أن يكون واحداً بالمرة.

إبراهيم: غير معقول.

جرجس: أبداً معقول جداً؛ لأنك تعرف أن الواحد في الحساب هو كمٌ محدود، وهو أيضاً مقدارٌ ثابت، بينما من المتفق عليه في كل الديانات أن الله

غير محدود، وهكذا نرى أن التوحيد يتناقض مع قواعد الحساب، وإذا تحدثنا بطريقة الجمع والطرح عن الله، فأننا سوف نقع في مشاكل لا حل لها.

إبراهيم: يبدو لي انك على صواب، لكن لماذا لا تأخذ كلمة واحد بشكل غير حسابي وهو أنها كلمة تنهي عن الشرك والتعدد.

جرجس: ولكنك تنهي عن الشرك والتعدد بطريقة حسابية؛ لأنك تنكر وجود أكثر من إله وتؤكد وجود إله واحد، وهذه صورة حسابية ١٠٠٪ – ولذلك اعتقد أننا يجب أن نبتعد عن كل الصور الحسابية، وندخل المجال الروحي ومجال العلاقات الشخصية الذي لا يخضع لقواعد الحساب. وهو المجال الذي يجعل التوحيد ممكناً.

إبراهيم: التوحيد ليس ممكناً، بل هو حقيقة.

جرجس: هو حقيقة فعلاً بحسب مقاييس العقل البشري؛ لأن التوحيد هو نفي للشرك والتعدد، ولكنه في نفس الوقت صورة عقلية في عقل الإنسان، أو لِنَقُلْ فكرة يمكن أن يصل إليها الإنسان عندما يدرك أن تعدد الآلهة مستحيل من الناحية العملية. لكن الخطر الذي يهدد التوحيد هو أنه تعريف سلبي، أنه مجرد نفي Negation للشرك، ولذلك من الخطر الشديد أن تكون علاقتنا بالله قائمة على تعريف سلبي.

إبراهيم: إنني أخاف من حديثك لأنك على ما يبدو تهاجم التوحيد لكي تبرر إيمانك بالآلهة الثلاثة الآب والابن والروح القدس.

جرجس: يا أخي، نحن لا نؤمن بآلهة ثلاثة. إننا لا نشرك بالله، ونحن نؤمن بالتوحيد، ولكن بمعنى آخر غير الذي تتحدث عنه أنت. إن الله واحدٌ بمعنى أنه لا مثيل له، وهو واحد بمعنى أنه مصدر كل شيء، وهو واحد بمعنى ألاَّ نتكل إلا عليه، ومع أهمية كل ما تقوله عن التوحيد نرى أن عبارة الله واحد هي عبارة ناقصة.

إبراهيم: كيف يكون نفي الشرك نقصاً، وكيف تتجرأ على القول بأن عبارة الله واحد هي عبارة ناقصة؟

جرجس: نحن نبحث، وليس البحث جريمة، بل لقد وهبنا الله العقل من أجل البحث، ثم أن عبارة الله واحد هي عبارة ناقصة لأنها لا تقدِّم أي معنى ايجابي للإنسان. تصوَّر نفسك تفكر وتنفي كل الأخطاء الخاصة بقضية من القضايا، ثم لا تجد في يدك أو رأسك بعد ذلك أي شيء ايجابي. هذه هي الخطورة الرهيبة التي تهدد الإنسان وتجعله يحيا في فراغ ... ولقد صدق مَن قال إن الموحدين بالله هم أشد الناس يأساً من الله؛ لأنهم يعيشون في ظلام النفي ولا يشرق عليهم نور أي ايجابيات عن الله.

إبراهيم: أنت تسعى إلى تحطيم الديانات – هل أنت ملحد؟

جرجس: أبداً لم أكن ملحداً بالمرة، ولن أكون، وإذا استمر الحوار بهذا الشكل فإن الصمت أفضل.

إبراهيم: اعتذر لك، ولكنني أريد أن أسأل، هل أنت تهاجم التوحيد لكي تضعه على ذات المستوى الضعيف الذي عليه عقيدة الثالوث؟

جرجس: بكل يقين لا، ولكني أحاول أن أصل معك إلى حقيقة أساسية وهي أن حذف قواعد الحساب ضروري عندما نتحدث عن الله، وأنه في عالم الأشخاص فقط يمكن أن يتحول الكثرة إلى الواحد ويمكن أن يكون الواحد كثرة.

إبراهيم: كيف؟

جرجس: مثل ما حدث في حرب أكتوبر ١٩٧٣ عندما تحول الشعب المصري إلى رجل واحد يحارب ويعمل بنظام. هذه الوحدة تبدو وحدة نظرية ولكنها في الحقيقة وحدة فعلية قوية.

إبراهيم: لا بأس، ولكني أكره كلمة التعدد.

جرجس: التعدد حقيقة أيضاً، وإلا ما هي أسرتك، أبوك وأمك وزوجتك

وأولادك، هؤلاء أفراد متعددون ولكنني أرجو أن يكونوا واحداً.

إبراهيم: حسناً، هذا يمكن تطبيقه على البشر لا على الله، الله منـــزَّهٌ عن أن يشار إليه أو تمسه تشبيهات.

جرجس: حقيقي أن الله منـــزَّهٌ، وأنه فوق كل تصورات العقل، ولكن هل يمكن أن تتحدث عن الله بشكل غير بشري، هل توجد لغة إلهية تستطيع أن تستعملها، إذا أردت الحديث عن الله، وإذا كان هذا مستحيلاً بالمرة، فعلينا من الآن أن نتفق على أن كل حديث عن الله هو حديث البشر وبلغة بشرية، وعلينا أن نقبل هذه الحقيقة الهامة، وإلا فعلينا أن نكف تماماً عن الحديث وعن الصلاة وعن دراسة أقوال الأنبياء، لأن كل كلام الأنبياء هو وحي الله ولكنه أُعطى لنا بلغة بشرية حتى نفهمه، وكل رسالات الأنبياء مكتوبة بمفردات اللغة البشرية، وعلينا أن نختار إمَّا الكلام والحديث والصلاة وإمَّا أن نهجر الله تماماً. فأيُ حلٍ تفضل؟

إبراهيم: لدي حل آخر غير ما تقدم، وهو أن يكون الكلام البشري عن الله كلاماً مقبولاً، وموضع تسليم مطلق لا موضع بحث.

جرجس: هذا ممكن في حالة واحدة، لو كان العالم كله ديانة واحدة فقط ولكن تعدد الديانات يجعل البحث والحوار من أجل الفهم واجب.

إبراهيم: ولكن الحديث عن الله يجب أن يكون حديث القبول والتسليم لا النقاش.

جرجس: نعم، ولكن علينا أن نحاول أن نفهم لأنك لا تستطيع أن تسلم بشيء لا تفهمه، ولذلك علينا أن نسلم بما نفهم، لأن التسليم الأعمى هو انقياد للوثنية، وإذا صليت لإله لا تعرفه صارت الصلاة نوعاً من الوثنية.

إبراهيم: ألم نتفق على عدم تبادل الاتهامات؟

جرجس: نعم وأنا لا أفهمك، ولكنني أتحدث عن خطورة التسليم الأعمى والانقياد دون تبصر لأنه يحول علاقتنا بالله إلى علاقة ميكانيكية لا

حياة فيها ويجعل الإيمان بعيداً عن فكر الإنسان وشعوره.

إبراهيم: حسناً، كيف يكون الإيمان في فكر الإنسان وشعوره؟

جرجس: لقد درست هذه النقطة جيداً لأنني وجدت أن الإنسان يمكن أن يخطئ في الأمور الإيمانية، وعليه أن ينقي إيمانه ويجعله ينمو، ولذلك كنت اسأل نفسي ما هي حقيقة الثالوث وما هو جوهره ولماذا أُعطيت هذه العقيدة ولماذا يرى الناس فيها التناقض؟

إبراهيم: جيد جداً .. أريد أن أسمع ردك الآن.

جرجس: مادمنا نسأل معاً ذات الأسئلة، فأنني لا أجد صعوبة بالمرة في الشرح. أن الحديث عن الإيمان هو حديث عن الإنسان، والكلام عن الثالوث موجه للإنسان ومن أجل الإنسان، وهذه ميزة أساسية اعتقد أنها كامنة في الديانة المسيحية وحدها، المسيحية تقول أن الله واحد وأنه ثلاثة أقانيم وليس ثلاثة آلهة وهذه العبارة هي جزء جوهري من إعلان الله عن نفسه للإنسان ومن أجل الإنسان. الإيمان في المسيحية هو خطة لتطوير الإنسان لا لتطوير الله، ولذلك يعطي الله الإعلان المناسب ويقول لنا، أريد منكم أيها البشر أن تكونوا مثلي وعلى نحو مصغر وغير كامل، ولذلك يقول لنا أنا واحد في ثلاثة وعليكم أن تكونوا انتم المتعددون واحداً رغم عددكم. لقد رأيت أن البشر يشتركون في الطبيعة الإنسانية الواحدة رغم اختلاف أشخاصهم وسألت نفسي، ما هي القوة التي يمكنها أن تجعل هؤلاء البشر واحداً و لم أجد إلا الإعلان عن ذات الواحدة التي فيها تعدد أقانيم.

إبراهيم: أليس من الممكن أن نتحد عن طريق العمل المشترك؟

جرجس: نعم وهذه حقيقة أساسية في الحياة، ولكن عندما نعمل معاً أي عمل مشترك فأننا بكل يقين نعبر لا عن وحدة العمل أيضاً فقط، بل عن الفكر والشعور وهذا دليل على أن البشر يمكنهم أن يتحدوا شعورياً

وفكرياً، وهذا في حد ذاته دليل على وحدة الطبيعة الإنسانية نفسها، وها أنا قد وجدت أن عقيدة الثالوث تعبر بشكل واضح عن وحدة البشر وأنها المثال الكامل الذي وضعه الله لكي يلهم البشر الحياة ويدفعهم إلى تذوق جمال الحياة.

إبراهيم: كيف؟

جرجس: إن الحياةَ قائمةٌ على وحدة البشر وعلى تعددهم. هذان المبدآن هما ركنا الحياة، ولا يوجد مبدأ ثالث للوحدة والتعدد. ولذلك، فالله واحد في ذاته مثلث في أقانيمه، وهذا يعني أن الآب هو الآب، والابن هو الابن، والروح القدس هو الروح القدس، وأنهم فعلاً ثلاثة متمايزون، ولكنهم يشتركون في الصفات، ويشتركون في الجوهر الإلهي الواحد أو الطبيعة الإلهية الواحدة، ولأن الطبيعة الإلهية للآب هي ذات الطبيعة الإلهية للابن وهي ذات الطبيعة الإلهية للروح القدس، أصبحت الوحدة هنا وحدة طبيعية، ولكنها وحدةٌ لا اندماج ولا ذوبان ولا اختلاط فيها. الوحدة تقوم على أساس الذات الإلهية الواحدة وعلى أساس تمايز الأقانيم، وهكذا الله واحد لا شريك له، لكن عندما نتحدث عن الذات، فهذه الذات الواحدة هي التوحيد عندنا، لكن هذه الذات الواحدة فيها أقانيم.

إبراهيم: ما معنى كلمة أقنوم؟

جرجس: أنها كلمة قديمة معروفة في اللغة العربية عند ابن عربي وتعني أصلاً «شخص».

إبراهيم: شخص !!! إذن الله ثلاثة أشخاص، وهذا هو شرك.

جرجس: الله ليس ثلاثة أشخاص مثل أشخاص البشر، **ولكن الاقنوم هو الشخص الذي لا يوجد منفرداً أو لا يوجد وحده، بل يكمِّل وجوده شخصٌ آخر، وهكذا الأقانيم الثلاثة، هم ثلاثةُ أشخاصٍ يجمعهم الجوهر الإلهي**

الواحد الذي بدونه لا يمكن لأيٍ منهم البقاء أو الوجود، ولأن الجوهر الإلهي واحدٌ، أصبح كل أقنوم من أقانيم الثالوث كاملاً وحياً وكائناً بسبب اشتراكه في حياة الأقنومين الآخرين، وهذا بالضرورة يجعل الله واحداً لأن كل أقنوم ليس إلهاً مستقلاً، ولكنه إلهٌ بسبب اشتراكه في صفات وحياة الأقنومين الآخرين، فالآب هو الله ولكن ليس بدون الابن أو الروح القدس، ونفس الوضع ينطبق على الابن وعلى الروح القدس.

هل كلامي واضح؟

إبراهيم: **ن**عم، واضح جداً. ولقد ذكرت إن العقيدة هي مصدر الهام للإنسان، وأنها مثالٌ يُعلَنُ للإنسان من أجل خلق معانٍ جديدة، ولكن هل هذا التفسير من عندك، أم هو تعليم المسيحية.

جرجس: تعليم المسيحية بكل يقين، فقد قال السيد المسيح «ليكون الجميع واحداً كما أنك أيها الآب فيَّ وأنا فيك، ليكون الجميع واحداً فينا» (يو ١٧: ٢١)، وها أنت ترى أنه يشير إلى وحدته مع الآب كنموذج ومثال تتطلع إليه ونسعى لكي نتمثل به، ولذلك عندما أعلنت المسيحية عن الله، قدَّمت كل السبل التي تساعد على التشبه به.

إبراهيم: لقد دخلتَ في موضوعٍ جديد، وهو موضوع التشبُّه بالله. كيف يجوز التشبُّه بالله ..؟ بل هلً هو ممكن؟

جرجس: في اعتقادي إن التشبه بالله هو الجوهر المخفي لكل الديانات، ولقد وجدت أنه توجد علاقة جوهرية بين سؤالين أساسيين:

١- ما هو الله؟

٢- ما هو الإنسان؟

والإجابة على أيهما تعني الإجابة على الآخر. الإيمان بالله والإيمان بالإنسان هو موضوع واحد يمكن أن نسميه الدين. والعلاقة بين العقيدة الخاصة بالله والعقيدة الخاصة بالإنسان هي كعلاقة الروح

والجسد، وكل كلام عن الله وعن صفاته في النهاية سيؤدي إلى الكلام عن الإنسان وعن صفاته، وكلما وضحت صورة الله وضحت صورة الإنسان، وكلما بهتت صورة الإنسان بهتت صورة الله والعكس صحيح، كلما تحدثنا عن الله تحدثنا عن حقيقة علاقته بنا؛ لأن الحديث عن الله ليس حديثاً في فراغ. بماذا تصف الله وتعلن عنه، أليس لكي تؤكد إمكانية قيام علاقة به؟

إبراهيم: أرى انك تقترب من الفلسفة الألمانية، لا سيما فيورباخ الذي قال إن الديانات ليست سوى صورة الإنسان، وإنه عندما يكفر الإنسان بالله يسترد الإنسان صورته التي يعكسها على الله، أي أن التدين هو نوع من تنازل الإنسان عن صورته، وإن عدم التدين هو استرداد لهذه الصورة.

جرجس: أنا مهتم جداً بما ذكرنا، وعندما درست هذه النقطة جيداً وجدت أن كل كلام الإنسان عن الله – وهو كلام بشري – فيه الكثير من صفات الإنسان مثل السمع والرؤية والفهم والحكمة والقوة .. الخ. كل هذه هي صفات بشرية، وأضاف إليها الإنسان صفة عدم المحدودية، فصارت صفات إلهية، فصارت صفات الإنسان هي صفات الله .. ولكني أرى الجانب الآخر بوضوح وهو أن محاولة إخفاء الإنسان صورته وإعطاء صورته لله هي تأكيد على أن الإنسان يدرك أنه يوجد في الواقع علاقة تامة بين الله والإنسان ... وإن إدراك الإنسان لذاته هو بداية إدراك الإنسان لله، أو إذا شئنا أن نستخدم تعبير الكتاب المقدس وهو أن الإنسان صورة الله، وأنه عندما يفهم الله ويدركه يسترد هذه الصورة، وبالتالي، في حالة عدم وجود الله تصبح صورة الإنسان عدماً، وهذا فرقٌ أساسيٌ بين تعليم المسيحية وتعليم فيورباخ، فرقٌ يمكن أن تعبِّر عنه هذه العبارة: **إذا كان الله موجوداً فهو أساس**

واصل الصورة الإنسانية، وإذا كان الله غير موجود فلا وجود للصورة الإلهية في الإنسان، أو بعبارة هامة في اللاهوت المسيحي، وهي «رد الصورة». فالإنسانية تتجدد وتُكتشف من خلال الله، أي أن الإنسان يكتشف ذاته من خلال علاقته بالله، وهي علاقة قائمة على إمكانيات الله وعلى العطايا التي منحها للإنسان. هي علاقة ثنائية، ولكنها في النهاية ستصبح وحدة.

إبراهيم: وحدة بين الله والإنسان. كيف يمكن أن تقوم وحدة بين الله والإنسان؟

جرجس: هذا سؤالٌ هام، وهذا يجعلني أعود إلى موضوع الثالوث، وإلى بداية الحوار. طالما أن هدف العقيدة الدينية هو أن تشرح علاقة الإنسان بالله، وطالما أن هذه العلاقة أبدية، فإننا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار التطور الذي سيطرأ على هذه العلاقة، وإلاَّ فقدت الحياة الأبدية معناها تماماً. إذا لم يصل الإنسان إلى وحدة مع الله، فما هو هدف الحياة الأبدية؟ هذه الوحدة تراها في تعليم المسيحية عن الثالوث، وهي وحدة لن يختفي فيها البشر ولن يذوبوا فيها، بل سيظل كلٌ محتفظاً بذاته وكيانه في إطار الوحدة، وبذلك يصبح البشر على مثال الله، وحدة مع وجود التمايز بين الأقانيم أو حسب قول المسيح «ليكون الجميع واحداً»، وهذا يعني أن الجميع سيكونون جماعةً فعلاً، ولكنهم جماعة في وحدة، وبذلك نرى في عقيدة الثالوث المرآة التي تعكس لنا صورة الحياة الأبدية، بل هي امتداد للحياة الأبدية أو أساس الحياة الأبدية، وهذا ما أعلنه المسيح نفسه «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يو ١٧: ٣). ومن الضروري أن تتذكر دائماً أنه كلما تحدثنا عن الحياة الأبدية، فإننا يجب أن نتحدث عن نوع العلاقة بين الله والإنسان، ولذلك نحن نرى في المسيحية أن هذه العلاقة قائمة على أساس اتحادنا بالله، وهذا الاتحاد

بالله هو غاية إعلان الثالوث.

إبراهيم: إنك تعظ، ولا تقدم لي فكراً منسقاً يحترم عقل الإنسان. ما معنى أن الثالوث هو أساس الحياة الأبدية؟ هذه عبارة بلا معنى. إن التوحيد يمكن أن يكون أساس الحياة الأبدية أيضاً. أليس كذلك؟

جرجس: لقد قصدت أن أقول إن صورة الحياة الأبدية نفسها واضحة في عقيدة الثالوث، ويبدو أن كلامي لم يكن واضحاً؛ لأن التوحيد أيضاً هو أساس الثالوث. يا صديقي عندما نتحدث عن الثالوث، فنحن نتحدث عن التوحيد أيضاً، فنحن لا نؤكد الثالوث ضد التوحيد؛ لأن الله واحدٌ في ثالوث.

إبراهيم: إذاً أنت تؤمن بالوحدانية ..

جرجس: بكل تأكيد، لكنني أرى أن التوحيد الحقيقي هو القائم على تثليث الأقانيم، وأكرر مرة ثانية: الذات الإلهية واحدة لا تثليث فيها، وإنما التثليث هو في الأقانيم، وأكرر أيضاً: إن الوحدانية الحقيقية هي في الثالوث؛ لأن التوحيد يمكن أن يكون صورة مشوهة أو ناقصة إذا كان مجرد نفي Negation للشرك. والتوحيد بدون الثالوث هو وقوع في خطأ أكبر وأخطر، وهو عدم وضوح العلاقة مع الله، وفي الوقت الذي يطمئن فيه الإنسان إلى أن إيمانه بالله سليم تماماً يظهر أن الإيمان عاطلٌ أو أجوف.

إبراهيم: ماذا تعني بوضوح العلاقة مع الله؟

جرجس: أعني أن يصبح الله هو مرآة الإنسانية، ترى فيه ذاتها ومصيرها، يرى فيه كل فرد ذاته ويرى مع الآخرين أن الشركَ عارٌ كبير؛ لأنه يجعل البشر تائهين تماماً وفي حيرة. أمَّا تعدد الآلهة فهو يحول الناس إلى محاربين وليسوا عابدين للآلهة، وقد رأينا في الفترة التي سادت فيها الثقافة اليونانية العديد من المعارك العسكرية التي حارب فيها البشر بعضهم

بعضاً باسم الآلهة. وفي اعتقادي أن العقيدة الدينية هي مرآة لكل ما في الإنسان، **لا تنسى أن العقيدة هي عقيدة الإنسان، وأنها صياغة الإنسان وأنها من أجل الإنسان، لا من أجل الله.** التوحيد يمكن أن يكون إيماناً بالفردية وإيحاءاً بالسلطة المطلقة واستقلال الذات، أمَّا الثالوث فهو إيمان بالوحدة بين البشر وبقاء الفرد في شركة مع الجماعة، لكن في وحدة أي أننا صورة كاملة لوجود الفرد ضمن الكثرة، وصورة الكثرة في وحدة. وهكذا نرى أن الإيمان بالله في المسيحية هو تهذيب للسلوك، وشعار أساسي للسلوك الاجتماعي السليم، ولذلك فإنني أخاف من التوحيد المطلق لأنه يوحي للإنسان بالاستبداد.

إبراهيم: هل يعني كلامك أن الله في الواقع ليس ثالوثاً، وإنما ظهر بشكل ثالوث من اجل إلهام الإنسان وتهذيب سلوكه؟

جرجس: بكل تأكيد لا ... الله واحد في ثالوث، وظهوره بشكل ثالوث، إنما يعبِّر عن طبيعة الله وجوهر حياته، ذلك أن الله لا يظهر بشكل يتعارض مع طبيعته؛ لأن هذا معناه أن يُعلِّم الإنسان النفاق، وهو أمر يتنافى مع مجد الله للإنسان، كما أنه يتنافى مع صلاح الله الذي يعلن عن نفسه لكي يقود الإنسان إليه لا لكي يضلل الإنسان.

إبراهيم: إذاً أنت تؤمن فعلاً أنه يوجد في الله ثلاثة أقانيم، كيف يمكنك أن تبرهن على ذلك؟ كيف يمكنك أن تبرهن على أن هؤلاء الأقانيم هم آب وابن روح قدس.

جرجس: لقد تعلمنا الثالوث من حياة ربنا يسوع المسيح نفسه لأنه عاش وعلَّم علانيةً أنه ابن الآب، وكل ذلك موجود في الكتاب المقدس، ونحن نعتمد على نصوص الكتاب المقدس كأساس لما نعتقد، أمَّا إذا شئت أن تبحث عن براهين أخرى غير ذلك فهي مستحيلة، ذلك أن الله ليس قضية رياضية أو تاريخية، وإنما الله سرٌ يتذوقه الإنسان، والعقيدة الدينية

شيء أشبه بالموسيقى أو الفن، لا يمكن أن تتذوق الموسيقى إلاَّ إذا سمعت الموسيقى، ولذلك نحن لا نحتاج إلى براهين على وجود الأقانيم الثلاثة، وإنما نحتاج إلى معرفة علاقتنا بالأقانيم الثلاثة لكي نتذوق هذا السر. وفي الحقيقة تساعدنا معرفتنا بالآب والابن والروح القدس على أن نتقدم في معرفة وفهم الله.

إبراهيم: حسناً، اتفقنا على أن نترك البراهين الرياضية، ولكن عليك أن تشرح لي كيف يساعدنا الثالوث على تكوين علاقة قوية بالله؟

جرجس: إن أهم ما تحرص عليه المسيحية هو تأكيد علاقة الله بالإنسان، وهذا هو جوهر عقيدة الثالوث، وما استخدام هذه الأسماء: الآب والابن والروح القدس إلاَّ استخدامٌ مقصودٌ لتدعيم علاقة الله بالإنسان، **فالله هو الآب بمعنى المصدر والأصل، هو الأبوة الحقيقية، وهو أيضاً الابن بمعنى أن أبوته تجد في البنوة تعبيراً عنها، أو بعبارة أخرى يعلن الله أبوته لنا في الآب، وبنوتنا نحن في الابن، وهذا يعني أنه آب وابن في آن واحد.**

إبراهيم: كيف يوجد في الله الواحد عنصران مختلفان أو صفتان متعارضتان هما الأبوة والبنوة؟

جرجس: اعتقد أنني ذكرت سابقاً إن الاقنوم هو الشخص الذي يجد كماله في شخص آخر مثله، وانطلاقاً من هذه النقطة لا أجد أي تعارض بالمرة بين وجود الأبوة والبنوة في الله؛ لأن الذي يكمل الأبوة هو البنوة أو بعبارة لاهوتية **لا وجود للآب بدون الابن**، ولذلك لا أدري ما هو التعارض؟

إبراهيم: إذا لم يكن هذا تعارضاً، فهو تقسيم لذات الله إلى أبوة وبنوة.

جرجس: هذا غير حقيقي بالمرة، لأن التقسيم يحدث عندما ينفصل جانب أو جزء من شيء إلى جزء آخر، وينضم إليه ويختلط بغيره، أو يظل مستقلاً، وأعتقد انك تسأل وتعارض لأنك تنسى دائماً معنى كلمة أقنوم:

الآب لا وجود له إلا بالابن، وكذلك الابن، كلاهما يكمل الآخر تماماً، فأين التقسيم إذا كان كلاهما يكمل الآخر وكلاهما في الذات الإلهية الواحدة.

إبراهيم: لكن ماذا نستفيد من هذا التعقيد؟

جرجس: ليس هذا تعقيداً، ولكن نستطيع أن نرى أن الثالوث هو إعلانٌ لطبيعة الله، ومن هذا الإعلان ندرك أولاً: إن علاقة الإنسان بالثالوث هي علاقة تبنٍ، ولقد شاء الله أن يمنحنا أن نكون أبناء له، ولذلك فقد أعلن لنا عن ابنه، وأعلن أنه هو الآب الذي يريد أن يتبنى الإنسان، وهنا كشف لنا عن أبوته، وعندما جاء الابن إلينا لم يكن في الظاهر ابناً وفي الخفاء شيئاً آخر، بل ابناً بالفعل والحق وهو ابن الله الذي جاء لكي يجعلنا أبناءاً لله، وهذا يوضح لنا أن الله هو الآب مصدر الأبوة، والله هو الابن مصدر البنوة والله وحده هو الذي يتبنى الإنسان وهو وحده القادر على أن يجعل الإنسان ابناً له، وهذا هو اختصاص الله وحده وهو العمل الذي لا يعمله أحد غير الله – ولذلك الآب والابن هما معاً في جوهر واحد. وهذه الحقيقة نعبِّر عنها بالشكل الآتي ... الله الآب يتبنى الإنسان بشكل واضح وبعمل مباشر يقوم به الله الابن. ثانياً: يعطي الله ما في كيانه أو طبيعته. فالأبوة والبنوة كائنة في الله.

إبراهيم: ألا ترى أنه من الخطورة أن نتحدث عن الله الآب والله الابن؟

جرجس: توجد خطورة في حالة واحدة إذا نسينا أن الذات الإلهية واحدة، وإذا نسينا أن الأقانيم ثلاثة، هل من الضروري أن أذكرك بمعنى كلمة اقنوم؟

إبراهيم: لا داعي بالمرة لكن ما هي الحكمة في وجود الأقانيم؟

جرجس: الأقنوم كما ذكرت هو شخص يتكامل وجوده وكيانه وحياته في شخص آخر، ألا تعلمنا الحياة معنى الحكمة التي تقول «ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط»، الإنسان لا يستطيع أن يعيش وحده

منفرداً بعيداً عن الناس، ولا يتكامل وجوده إلاَّ مع غيره من الناس. الانعزاليون لا يدركون معنى المشاركة وينكرون المشاركة، ولكنهم في الواقع يحيون حياة مشاركة كاملة لأن كل ما في حياتنا يعتمد على الآخرين. **والحديث عن الله الآب والله الابن هو حديث عن الله الواحد لأنه لا يوجد تقسيم، ولذلك إذا كان الله هو الآب، فالابن أيضاً هو الله، ولكن ليسا إلهين لأن الآب كما ذكرت لا وجود له بدون الابن. كلاهما يعتمد على الآخر. الآب يتمايز بكونه الآب والابن يتمايز بكونه الابن، ولكن الآب يشارك الابن في كل شيء ومنه يأخذ الابن بنوته، والابن يشارك الآب في كل شيء وفيه تتحقق أبوة الآب.**

إبراهيم: هذا تعقيد بلا داعي.

جرجس: الكلام عن الله دائماً صعب، وإذا كنا نبحث عن المستفيد من هذا الكلام فأنني أؤكد لك أنه الإنسان نفسه.

إبراهيم: كيف يستفيد الإنسان من الإيمان بالآب والابن؟

جرجس: أولاً: تأكيد حقيقة وحدة الذات الإلهية التي لا تعدُد فيها بالمرة، ولكنها ليست صماء أو جوفاء، بل فيها تعدد الأقانيم، وهذا التعدد يخدم الذات الإلهية الواحدة، ويعلن لنا التعدد عن وظيفة الأقانيم، ذلك أن كل أقنوم يؤدي عملاً معيناً خاصاً به في دائرة علاقة الله بالإنسان، وتعدد الوظائف قائم أصلاً على تعدد الأقانيم، وعلى سبيل المثال، الأبوة ليست هي البنوة ومع ذلك تؤدي الأبوة وظيفة والبنوة وظيفة أخرى. عندما يتبنى الله الإنسان، يقوم الآب بعمله ويقوم الابن بعمله، وهو عمل واحد تؤدي فيه الأبوة دورها وتؤدي فيه البنوة دورها، ولكنه عمل واحد متكامل، وهنا يلزمنا أن نؤكد أنه لولا وجود الآب والابن في الذات الإلهية لما حصل الإنسان على التبني بالمرة، أي أن طبيعة الله هي وحدها التي تسمح بتبني الإنسان، أي خصائص وإمكانيات الذات الإلهية.

ثانياً: الأبوة تجعل الله قادراً على أن يكون آب للإنسانية، والبنوة في الله هي التي تجعل تبني الإنسان ممكناً، **والأبوة في الله ليست صفة عارضة، بل الأبوة هي أقنوم الآب، وكذلك البنوة في الله ليست صفة عارضة بل هي أقنوم الابن**، وهكذا نرى أن وجود الأقانيم هو الذي يجعل تبني الإنسان مؤكداً، لأنه يعتمد على ما في ذات الله.

إبراهيم: هل يمكن أن يحدث التبني بدون الثالوث؟

جرجس: غير ممكن بالمرة، لأن تبني الإنسان يجب أن يعتمد على خصائص أساسية في الله، فإذا لم تكن هذه الخصائص موجودة، أصبح تبني الإنسان مستحيلاً، وهذه الخصائص هي وجود الأبوة والبنوة في الله الواحد.

إبراهيم: ألا يكفي وجود الأبوة وحدها لكي يتم تبني الإنسان؟

جرجس: بكل تأكيد لا. ذلك أن الأبوة وحدها تجعل تبني الإنسان مستحيلاً؛ لأن الأبوة بدون البنوة تكشف عن الأبوة فقط ولا تعطي الإنسان الإمكانية لأن يرى البنوة. إن الأبوة هي حبٌ كامنٌ خفيٌ لا يمكن للإنسان أن يراه إلاَّ في البنوة عندما يرى الإنسان كيف يعبِّر حب الآب عن نفسه للابن فيدرك عظم محبة الله. المحبة تحتاج دائماً لأن تعبِّر عن نفسها وإلاَّ فقدت كيانها تماماً والمحبة دائماً تحتاج لمن يشارك عطاياها وخيراتها، ولذلك الآب يحب الابن، وفي هذه العلاقة وحدها يمكننا أن نرى محبة الله وتنازل الآب لكي يهب الآب كل ما له للابن، ثم تنازل الابن عن كل ما له ليقبل محبة الآب، هنا يمكن للإنسان أن يقف ويتأمل حركة المحبة في الله، فإذا هي حركةٌ طبيعيةٌ تعتمد لا على العواطف، كما في الإنسان بل على طبيعة الذات الإلهية. لو أن الله أبوة فقط لصارت هذه الأبوة صفة طارئة حدثت عندما خلق الله المخلوقات، صفة عارضة يمكن أن تتغير، ولكن أبوة الله أبوة أزلية دائمة وأبدية، ولذلك فإن

الأبوة وُجِدَت فيه منذ الأزل، ووجدت الأبوة راحتها الأزلية بوجود الابن، وهنا نلمح حقيقة الثالوث، وهو أن الإنسان القادم الجديد هو العارض أو الطارئ، أمَّا الله فهو الأزلي وغير المتغير منذ الأزل، هو الآب والابن، وعندما يأتي الإنسان إلى الله فهو يأتي معتمداً على ما في الله، لأن الإنسان خُلق على صورة الله. ويكون الإنسان بذلك قد خُلق بشكل يؤهله للتبني. وهنا يجد الإنسان غاية خلقه ويجد في بنوة الابن الأزلية أساس شركته في حقيقةٍ أزليةٍ، هي البنوة الدائمة عطية الله الآب في ابنه يسوع المسيح. وهكذا تصبح هذه العطية دائمة لأنها تعتمد على البنوة الأزلية أي بنوة الابن الذي منه تستمد عطية التبني كيانها، وطالما أن أقنوم الابن كائنٌ، فإننا نحن أبناء، أي أننا نستمد بنوتنا من الله مباشرة وعن طريق ابنه، ولذلك يقول الرسول يوحنا «أمَّا كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أبناء الله أي الذين يؤمنون به، الذين وُلدوا ليس من جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله وُلدوا» (يو ١: ١٢)، فنحن نرى هنا أن الكلام عن ابن الله هو كلام يخص وضع الإنسان نفسه بالنسبة لله.

إبراهيم: هل يمكن أن تقوم علاقة بين الله والإنسان بدون البنوة؟ أو بمعنى آخر هل يلزمنا أن نؤمن بالابن؟

جرجس: طبعاً يمكن للإنسان أن يتصور ما يشاء من علاقات، ولكن تبقى علاقته بالله ممكنة فقط في ضوء ما يقدمه الله من عطايا، فإذا قدم الله عطية عظيمة ودعانا لأن نكون أبناء له، فلماذا نرفض اليد الممدودة لمصافحتنا، وما هي أسباب رفض هذه العطية؟

إبراهيم: وما هو الدليل على صحة دعوة بنوتنا؟

جرجس: علينا أن نفحص حياة مئات الناس الذين قبلوا هذه الدعوة لنرى أثرها في حياتهم، وعلينا أن ندرس هذه الدعوة الموجهة لنا في كلمات

الإنجيل، واعتقد أن أفضل دليل يمكن أن نقدمه على صحة هذه الدعوة الإلهية هي أن نختبرها لنرى صحتها، الموضوع هو اختبار وليس غير الاختبار من دليل.

إبراهيم: ولكن إذا تمسك الإنسان بعلاقته بالله كمجرد علاقة بين خالق ومخلوق ألا ترى أنه يستطيع أن يحقق نجاحاً في علاقته بالله؟

جرجس: لقد جربت علاقتي بالله كمخلوق ورأيت أنها علاقة بلا مستقبل بالمرة، يظل الله خالقاً وأظل أنا مخلوقاً، كل منا في وضع ثابت وساكن لا تطور فيه.

إبراهيم: وما هو العيب في الوضع الثابت والساكن، أليس هو الأفضل؟

جرجس: الموضوع ليس العيب أو عدم العيب، وإنما عدم تطور علاقة الإنسان له خطورة ظاهرة، لأن عدم التطور لا يليق بصلاح الله وجوده، كما أنه يتعارض مع غاية خلق الإنسان. علينا أن نسأل عن الغاية التي خلق اللهُ الإنسانَ لأجلها. ألا ترى أن تطور نمو جسد الإنسان من الطفولة إلى الكهولة هو دليل على أن الإنسان لا يموت بعد ذلك وإنما يتجه إلى حياة أكمل وهي حياة ما بعد الموت. يعرف الإنسان القليل جداً عن الله أثناء حياته على الأرض ولذلك من الصعب عليَّ أن أتصور أنه سوف ينحصر في دائرة مغلقة ضيقة هي دائرة ما وصل إليه من معرفة. هذا نوع من الحصار الشديد وهذا هو الجحيم بعينه. إذا حُرم الإنسان تماماً من أي معرفة فهذا معناه توقف نمو الإنسان تماماً وبقاؤه في وضع ساكن سوف يضطر فيه في النهاية إلى الانصراف عن الله. وإذا انصرف عن الله فقد دخل الجحيم. أكاد أرى هنا ملامح الفكرة السياسية التي انتشرت في المجتمعات القديمة عن السادة والعبيد أو السيد الارستقراطي والخادم، كلاهما في وضع لا يقبل أي تغيير بالمرة، وهذا في رأيي هو الجذر الحقيقي للفكر المتدين الذي ينادي بعدم تطور

علاقة الإنسان بالله.

إبراهيم: لقد تركت الدين ودخلت في السياسة والفرق بين الاثنين كبير وشاسع.

جرجس: لست أتفق معك في الرأي، وإنما اعتقد بأن الإنسان يمزج دائماً بين كل اختياراته طالما أنه إنسان سوي. فهو يستفيد من العلوم للقضاء على الخرافات، ومن الفلسفة لشحذ العقل والتدقيق في الأسئلة، ومن الدين لتعميق اختباره للحرية، ومن المذاهب السياسية لتطوير علاقته بغيره من البشر، ومن الاقتصاد لكي يدرك كيف يحل مشاكله على نحو يحقق العدالة، وهكذا تمتزج كل التيارات والعقائد ويؤثر بعضها في بعض. ولقد لاحظ علماء النفس كيف أن الصورة التي يكوِّنها الطفل عن والده تختلط في شعوره بصورة الله، وأحياناً تمتزج الصورتان و يصبح كل ما يعرفه الإنسان عن الله هو أصلاً ما اختبره عن والده، وإلاَّ كيف تفهم الخوف الشديد الذي يسيطر على بعض الناس عندما يفكرون في عقاب الله. نحن لا نعرف إلاَّ القليل عن عقاب الله لأننا لم نحاكم بعد، ولذلك عندما نسمع عن العذاب والنار، فأننا بدون تردد نستخرج من الذاكرة ومن الخبرة ما نعرفه عن العقاب، ونتصور أن ما سيحدث لنا قد يزيد أو قد ينقص عما حدث لنا في الماضي. ولذلك ساهم علم النفس الحديث في الكشف عن أعماق الاختبار الديني وشجع رجال الدين على تصحيح الكثير من الأفكار الموروثة عن السلف. ولست أجد في مجال خبرة الإنسان أي مصدر آخر غير النظام السياسي القديم هو صاحب فكرة استعباد الخالق للمخلوق، ولا يوجد سوى الشكل الارستقراطي القديم الذي يعمل كمصدر لعدم الإيمان بإمكانية تطور وتجديد العلاقة بين الله والإنسان. هل يمكنك أن تشير إلى مصدر آخر غير شكل الحياة السياسية؟

إبراهيم: نعم بكل تأكيد، لماذا لا يكون شعور الإنسان العميق والفطري بأنه

عبد، هو مصدر إيمانه بعدم إمكانية إزالة الفوارق بين الله والإنسان، أنا أرى انك تكاد تقع في هوة إنكار الفوارق الأساسية بين الله والإنسان.

جرجس: إنني بعيد تماماً عن هذه الهوة، ولست أقول بأن الفوارق بين الله والإنسان ستذوب أو ستزول، سيظل الخالق هو الخالق وسيظل الإنسان هو الإنسان، مخلوقاً محتاجاً لله بشكل دائم وأبدي ولكن عدم إزالة الفوارق لا يعني بالمرة عدم تطور العلاقة. **ولا يوجد في فطرة الإنسان ما يؤكد أنه عبد، وقيام الثورات في التاريخ الإنساني هو ما يؤكد أن الإنسان ليس عبداً، وأعتقد أن الثورات ستقوم دائماً حتى تنتهي كل أشكال العبودية.** وسوف يتطور الإنسان داخلياً أي عقلياً وروحياً، وبذلك سوف تتطور علاقته بالله. هذه النقطة جوهرية جداً، لأنها أحد مفاتيح عقيدة الثالوث.

إبراهيم: التطور هو أحد مفاتيح عقيدة الثالوث .. كيف؟

جرجس: لأن الثالوث هو إعلانٌ عن طبيعة الله، وكل إعلان عن طبيعة الله يعني بالضرورة تهيئة الإنسان وإعداده لكي يتقبل هذا الإعلان ويأخذه كوسيلة لتطوير الإنسان. إن الإيمان بالله هو وسيلة أساسية تجمع البشر، والإيمان بالله لا يفرق الناس إلى خصوم، وإنما يهدف إلى أن يجمعنا في وحدة شبيهة بوحدة الثالوث، ولذلك لا يتطور الإنسان منفرداً مستقلاً، وإنما يتطور بالاشتراك مع غيره، هذه هي قاعدة عقيدة الثالوث .. نشترك نحن البشر في حياة بشرية فيها تعدد الشخصيات، لكن الطبيعة البشرية واحدة هنا يصبح الإيمان بالثالوث هدف جماعي، لأن تطور الإنسان منفرداً معناه مشاركة أبدية دائمة لكل ما فيه ولكل ما في غيره، فإن هذا هو الفردوس الحقيقي، وهذا هو الذي جعل العديد من آباء الكنيسة يقولون إن «الثالوث هو الفردوس الأبدي لله والإنسان» ورفض هذه العقيدة يؤدي بالإنسان إلى الوقوع في التهور

والدكتاتورية والكبرياء والخيلاء وأمراض جنون العظمة.

إبراهيم: هل هذا هجوم على التوحيد؟

جرجس: أنا لا أهاجم التوحيد، لأنه توجد أنوع متعددة من التوحيد: يوجد توحيد سلبي يقوم على إنكار الشرك وتعدد الآلهة، ويوجد توحيد ارستقراطي يعطي لله كل شيء ويعطي للإنسان لا شيء، ويوجد توحيد لذات الله مع عدم الدخول في أي تفاصيل، وهو توحيد يُعطل الإيمان بالله يمكن أن نقول أنه توحيد تعطيل الذات الإلهية، ويوجد توحيد لذات الله مع تعدد في الأقانيم ... هذه بعض أشكال التوحيد. وأنا أعتقد أن التوحيد السلبي مجرد فكرة عاطلة بلا ثمرة، لأنها وحدانية تقوم على إنكار خطأ الشرك، وهو توحيد يحرم الإنسان من أي علاقة ايجابية بالله، كما لو كان الله يواجه خطراً مؤكداً إذا دخل في علاقة مع الإنسان ... وفي الحقيقة، إن اختيار الإنسان لنوع معين من التوحيد يكشف عن نوع وطبيعة فكر الإنسان وحياته.

إبراهيم: ماذا تقصد؟

جرجس: أقصد أن كل عقيدة دينية تكشف عن نوع وطبيعة فكر وحياة معتنقها. أن كنت تتصور الله كسيد فقط، فإن هذا يكشف لنا عن أسباب خفية تجعلك تتمسك بسيادة الله دون رحمته أو صلاحه، إمَّا لأنك ديكتاتور والله عندك هو رمز ومثال للاستبداد، أو انك ضعيف لا ترى إلاَّ القوة وحدها، وتعبدها كمثال أعظم، وعموماً إن كل ديكتاتور ضعيف، فالعقيدة الدينية تكشف بشكل واضح انتماء الإنسان وحياته.

إبراهيم: وكيف يكشف التوحيد عن انتماء الإنسان وحياته؟

جرجس: أي توحيد تقصد؟ التوحيد الذي يعطل اتصال الله بالإنسان هو نوع من الارستقراطية الزائفة وتقديس للفرد بشكل يشبه تقديس شيخ القبيلة ... ثم إن إنكار وجود أقانيم في ذات الله خوفاً من الشرك يؤدي بنا إلى

تعطيل كل كلام عن الله، مع أن الثالوث هو إعلان عن طبيعة وحياة الله. ورفض الثالوث بسبب الممارسة السياسية لكي تبقى ذات الحاكم مصونة، ووضع شيخ القبيلة هو الذي يجعل كل من يتكلم ضده يُقتل أو يُطرد ... هذه هي الجوانب النفسية الواضحة التي يعكسها التعصب الشديد لوحدانية الله إلى درجة الخوف منه أو عليه، كما لو كان الله هو مثل الحاكم السياسي أو قُل إن الحاكم السياسي هو مثل الله.

إبراهيم: إنك تهاجم بشكل عنيف لم يسبق لي أن رأيته بهذا الشكل الصارخ. أنت تربط بين الحياة النفسية والفكرية والإيمان، وهذا خطأ.

جرجس: هذا ليس خطأً بالمرة. اخبرني لماذا تتزعج بهذا الشكل عندما أتحدث عن الثالوث. ما الذي يضايقك إذا قلت إن الله مليون أقنوم لا ثلاثة فقط. كما لو كان الله عاجزاً عن الدفاع عن نفسه أو هو يحتاج لقوة الحجة أو منطق الإنسان. إن ما أهدف إليه هو أن صورة الله في عقل الإنسان تختلط بما في عقله من خيالات وأفكار وخبرات، ولذلك -بشكل قبلي بدائي- يحاول الإنسان أن يتحيز لله كما لو كان الله محتاجاً إلى جماعة أو عصابة للدفاع عنه مثل شيخ القبيلة الذي لا يرد الإهانة، وإنما يترك أحد أتباعه لكي يرد الإهانة عنه ... هذا ما أقصده من أن العقيدة الدينية تكشف عن انتماء الإنسان إلى نمط وأسلوب معين في الحياة.

إبراهيم: ولكن لنأخذ كلمة «واحد»، إن هذه الكلمة لا تكشف عن أيٍ من الجوانب النفسية التي تتحدث عنها، أنها كلمة محايدة تماماً.

جرجس: الحياد لا وجود له في الواقع. وكلمة «واحد» ليست محايدة كما تقول. أنا أعتقد أن كلمة واحد تفيد الوحدة، وعندك كلمة «واحد» تعني التفرد، وآخر يفهم «واحد» بمعنى العزلة، فما رأيك؟ أين الحياد الذي تتحدث عنه؟

إبراهيم: ولكنني عندما قلت «واحد»، فأنا أقصد بشكل خاص الكلام عن الله، وعن الحق الواضح الذي لا جدال عليه.

جرجس: ما أفهمه هو أن الحق لا وجود له إلاَّ في عقل الإنسان وقلبه، فالحق لا يوجد في مكان معين له موقع جغرافي، ولا وجود له في الواقع الظاهر، فليس في الحياة شيء اسمه الحق يمكنك أن تشير إليه كما تشير إلى شجرة وتقول هذا هو الحق، وقياساً على ذلك، إن كل كلام عن الحق يجب أن يأخذ في حسابه الإنسان بكل ما فيه من مشاكل وتطلعات ... وقد ذكرت لك عدة معاني لكلمة «واحد»، فأي هذه المعاني ينطبق على الله؟ لو قلت «الوحدة»، فإنك تعني بكل تأكيد وجود ثالوث اقانيم في الجوهر الواحد الإلهي، ولو قلت «التفرد»، فأنت تعني عدم وجود آخر مثل الله، ولا يمكنك أن تقول «العزلة»؛ لأن العزلة لا تنطبق على الله. هكذا ترى أن عدة معاني لكلمة «واحد» تحدد في النهاية انتمائك. «الواحد» بمعنى الوحدة هي إيمان باشتراك فئة أو جماعة في أمور عديدة تجعلهم في النهاية واحداً فهو إيمان بالشركة. ولو قلت «التفرد» أي عدم وجود آخر، فأنت تحرص على ألاَّ يكون لله مثيلاً أو آخر يشبهه، وهذه نقطة هامة نشأت في ضمير الإنسانية بسبب التعدد والشرك، ولولا اختبار التعدد والشرك لما احتاج الإنسان مطلقاً إلى كلمة «واحد» بمعنى التفرد. و»واحد» أيضاً تعني العزلة، ولذلك فهي كلمة تخبر بكل تأكيد عن الكثير من الجوانب النفسية للإنسان، فقد تكون العزلة فضيلة، وقد تكون العزلة مرضاً.

إبراهيم: إن ما أخاف منه هو انك ترد كل الحقائق الخاصة بالله إلى دنيا الإنسان، وهذا سوف يقودك في النهاية إلى العديد من الأخطاء.

جرجس: لست أفهم ما هي الحقائق الخاصة بالله، هل تعني أن الله يقول لنفسه «وإنما أنا واحدٌ ولا إله غيري»، هذا ضرب من الجنون. وإنما الذي يحتاج إلى ذلك بشكل دائم هو الإنسان، فليس لدى الله حقائق خاصة به. إن هذه الحقائق الخاصة به هي كائنة في دنيا الإنسان فقط، ولذلك

من الضروري أن نحلل هذه الحقائق وندرسها. إن كلمة واحد، كلمة إنسانية لم تنشأ في دنيا الله وبعدها نزلت إلى دنيا الإنسان، بكل تأكيد لا ... وإنما هي كلمة إنسانية بحته من اختراع العقل الإنساني، لها الجوانب الضعيفة، أي المدلول الحسابي، أو الكم المحدود. ولها الجوانب القوية، أي الوحدة وما إليه من معان ايجابية. ولها طبعاً الجانب السلبي، وهو إنكار التعدد. وكل هذا يا صديقي العزيز خاص بالإنسان.

إبراهيم: وماذا عن آب وابن وروح قدس؟

جرجس: لا جدال على أن ما قلناه بخصوص «واحد»، هو نفسه ما نقوله بخصوص «آب وابن»، فكلتاهما كلمتان صادرتان من واقع الخبرة الإنسانية. أمَّا كلمة «روح قدس»، فهي تصوُّر يفوق الاختبار البشري.

إبراهيم: إذاً أنت تعترف بأن للخبرة الإنسانية دوراً واضحاً في تشكيل الكلمات؟

جرجس: نعم وبكل تأكيد .. وما الذي يزعجك في هذا؟

إبراهيم: لا يوجد شيء يزعجني ذلك أنك في النهاية سوف تعترف بأن عقيدة الثالوث هي اختراع بشري.

جرجس: ماذا تعني باختراع بشري؟

إبراهيم: أي من إنتاج العقل البشري، وليس الحق الذي أعلنه الله.

جرجس: ما أغرب تناقضك مع نفسك، لمن يعلن الله الحق؟ الجواب للإنسان، وبلغة الإنسان التي هي من اختراع الإنسان، ومن إنتاج عقله، تماماً مثل كلمة «واحد» ومثل كل الكلمات الأخرى التي نصف بها الله مثل القدرة والسمع والرؤية .. الخ. يا صديقي، هذه ألفاظ إنسانية وأنت تريد أن تحرم الإنسان من أكبر ميزة منحها الله له وهي قدرة الإنسان على وصف الله بالأوصاف البشرية العادية، ولأنك لا تؤمن بأن الإنسان هو صورة الله، وأن هذه الصورة الإلهية تعبِّر عن نفسها بشكل ظاهر في اللغة والرموز الإنسانية .

إبراهيم: يمكن أن نتفق معاً على صحة ما تقول، ولكن الكلام عن الله الواحد بعدة أسماء آب وابن وروح قدس يؤدي في النهاية إلى التعدد وتشتت الفكر بعكس الكلام عن الله باعتباره «واحد» وكفى. إنني المح هذه الحقيقة «الله واحد» عبارة بسيطة تنطوي على حقيقة واضحة للإنسان ومهما قلت عن صعوبة كلمة واحد، إلاَّ أنها في النهاية أقل خطورة وأقل صعوبة من الكلام عن الآب والابن والروح القدس.

جرجس: لست أدري ما هي قيمة التبسيط في موضوع الله. لمن أنت تبسط: للأطفال أم للبالغين؟ وإذا كان الله موضوعاً بسيطاً بالشكل الذي تخيلته ألا تجد في النهاية أن هذا الوصف البسيط يؤدي إلى أن ينـــزوي الله في ركن صغير في عقل الإنسان أو قلبه. مَن يرضى بأن يصف صديقاً بعبارة بسيطة «صديقي واحد» لا صديق إلاَّ هو وحده.

إبراهيم: آه .. هذه إثارة ... ذلك لأنك تعلم بأن وصف أي صديق على النحو الذي ذكرته يبدو غير واقعي، لأن الصديق يمكن وصفه، أمَّا الله فهو فوق الأوصاف والتشبيهات.

جرجس: عجيب ما تقول ... إمَّا أن الله فوق الأوصاف والتشبيهات بشكل مطلق وبالتالي حتى كلمة «واحد» لا تجوز أيضاً، أو أن الله يمكن وصفه فعلاً في عدة أمور وعدم وصفه في أمور أخرى، لكن ما لا يجب أن نقبله، فهو التعطيل التام لكل علاقة ممكنة بين الله والإنسان ... ومع ذلك نُتهم بأن الثالوث من اختراع العقل البشري ... هنا النقاش لا يجدي مطلقاً. إما أنه توجد علاقة فعلاً بين الله والإنسان، أو لا وجود حتى لإمكانية أي علاقة من أي نوع. ومن الضروري أن أسألك الآن: هل تؤمن بالوحي؟ إذا كان الجواب بالإيجاب، إذاً توجد علاقة بين الله والإنسان.

إبراهيم: أنا لا أنكر وجود علاقة بين الله والإنسان، ولكن هذه العلاقة محدودة لا تقبل التطور والنمو، بل تربطها قواعد ومبادئ. فهي بلا شك قائمة

على ما نعرفه عن طبيعة الله وقدراته وما أعلنه الوحي.

جرجس: هذا أفضل بكثير من الموقف السابق، ولكنك مع ذلك توقفت في منتصف الطريق. لقد قلت إن هذه العلاقة قائمة على ما نعرفه عن طبيعة الله وما أعلنه الوحي ... واعتقد انك تخاف أن تقول إن هذه العلاقة قائمة على ما نعرفه عن الله وصفاته وقدراته أيضاً. لماذا توقفت في منتصف الطريق؟ أنا لا أدري سر هذا الخوف على الله !!! إذا دخل الله الخالق كطرف أساسي في علاقة مع الإنسان فما هي الأضرار التي سوف تلحق به، انك تُشبه من يضع معلماً عظيماً في فصل ليدرس مجموعة من التلاميذ الصغار، ثم يخاف على المعلم لئلا تلحقه إهانة. إذا كان الله هو الله، أي الخالق، فعلينا ألا نخاف عليه من الإنسان.

إبراهيم: اتفق معك، ولكن ما هي حدود أو معالم هذه العلاقة؟

جرجس: أولاً: أن يصف الإنسان الله بما لديه في لغة الإنسان، وأن يختار طبعاً أفضل المفردات وأحسنها وقد فعل الإنسان هذا عبر تاريخه الطويل.

ثانياً: ألا تكون هذه العلاقة مجرد أوصاف إنسانية يخلعها الإنسان على الله، فهذا يذكرني بما كان يحدث أحياناً في عهد «الأمويين»، وهو أن يقف الشاعر بباب الخليفة ثم يمدحه وكلما أجزل الخليفة العطاء كلما ازداد مدح الشاعر. وطبعاً لا تقوم علاقة حقيقية بينهما وإنما مجرد صلة مصلحة، وهو ما لا يمكن أن ينطبق على الله والإنسان؛ لأن علاقة الله بالإنسان هي علاقة خالق بمخلوق، فلا تنفع فيها الأوصاف والمديح.

إبراهيم: آسف للمقاطعة، ولكن عليك أن تحدد فوراً ما هو أساس علاقة الله بالإنسان؟

جرجس: هي علاقة الأصل بالصورة، أو هي علاقة صاحب المشروع بالمشروع ذاته. هي علاقة قائمة على الغائية، فالله غاية الإنسان، وهو غاية الإنسان لأن الله هو سبب وجود الإنسان في هذه الدنيا، ولذلك إذا

اكتفى الإنسان بوصف الله بكل الأوصاف الجميلة فقط، انتفت تماماً غاية الخلق، وصارت مثل الشاعر الذي يمدح الخليفة. والله ليس مريضاً بعقدة العظمة حتى يكتفي بالجلوس على عرش يراقب كيف يعبده البشر وكيف يمدحونه.

إبراهيم: أنت تحيرني، ماذا تريد أكثر من هذا؟

جرجس: علاقة الكائن بغايته، أي الله، وهي علاقة المحبة وعلاقة الابن بأبيه.

إبراهيم: آه .. هكذا تلف وتدور لكي تصل في النهاية إلى الآب والابن والروح القدس، وهو ما تمهد له بالكلام عن الآب والابن والروح القدس.

جرجس: أنا لا ألف ولا أدور .. أنا أريد منك أن تكتفي بمجرد التطلع إلى عقيدة الثالوث ... القي نظرة لعلها تعجبك.

إبراهيم: لا، أنا أفضل عقيدة بسيطة واضحة تقودني إلى الإيمان بشكل مباشر دون تشتيت للعقل، وهي عقيدة التوحيد فقط.

جرجس: عليك أن تختار ما تشاء، ولكنني أريد أن أسألك: كيف يقودك التوحيد إلى الإيمان بالله بشكل مباشر. إن عبارة «لا اله إلا الله» لا تحتوي على علاقة بين الإنسان والله، أنها مجرد إنكار جريمة الشرك فقط، وها أنت في النهاية تؤيد ما ذكرته لك في بداية الحوار، وهو أن العقيدة الدينية تكشف عما في قلب الإنسان. إذا كنت تريد علاقة سطحية، فإن التوحيد كاف، ولكن إن كنت تريد أكثر من ذلك، فالثالوث بلا شك هو الطريق المباشر.

إبراهيم: على أي أساس تقارن بين التوحيد والتثليث، ثم على أي أساس تختار بينهما؟

جرجس: أنت على حق، إذ لا يوجد مقياس موضوعي يمكن بواسطته أن نقيس هذه الأمور. ثم أنه من الخطر الشديد أن نحاول مقارنة التوحيد بالتثليث لأنه لا يوجد أصلاً تعارض، وقد أكدت لك هذا من قبل. ولكن من

جانب واحد معين يمكننا أن نقارن بين العقائد على أساس الإمكانيات التي تمنحها كل عقيدة. وأعتقد أن العقيدة مثل مشروع هندسي ولكل مشروع مزايا، وربما لكل مشروع أيضاً نقاط للضعف، وبالتالي إذا أمكن دراسة المزايا ونقاط الضعف ربما استطعنا المقارنة.

إبراهيم: إذا صدق هذا الرأي فأنني بدوري أريد أن أسألك: ما هي مزايا مشروع الثالوث؟ ثم ما هي مزايا مشروع التوحيد؟

جرجس: إنني متمسك بعدم المقارنة بين التوحيد والتثليث واعتقد أنه من الصواب أن نقول مزايا التوحيد بدون ثالوث ومزايا التوحيد الذي يقر بالثالوث، هذا أفضل بكثير لأنك لا تملك الحق في أن تحرمني من الإيمان بالتوحيد طالما أنني أنا نفسي متمسك به.

إبراهيم: اتفقنا، فهل يمكن أن تقدِّم المزايا التي تتحدث عنها؟

جرجس: بكل تأكيد .. التوحيد بدون ثالوث هو غرفة واحدة تعيش فيها لا يوجد فيها سوى نافذة واحدة، ومنها يدخل ضوء ضئيل جداً هو نفي التعدد الذي يبدد ظلام الشرك وتعدد الآلهة. أمَّا الثالوث فهو قصر كبير جداً متعدد النوافذ والأبواب يتيح لك أن ترى الحياة الإلهية، ويمنحك أن تعيش إلى الأبد كابن، بل وأن تدخل في شركة وعلاقة متينة مع الله نفسه، وهكذا يمكنك أن تختار بين أن تعيش في غرفة واحدة وبين أن تختار أن تعيش في أكثر من غرفة، واختيارك سوف يكشف في النهاية عن ذوقك وفكرك وحياتك نفسها.

إبراهيم: لقد فاجأتني، وسوف أعود لمناقشة هذا الموضوع معك مرة أخرى حينما أستعد بما فيه الكفاية لأنني لا أعتقد أنه من الصواب مقارنة التوحيد بغرفة واحدة يتسلل منها ضوء ضئيل، أعتقد أن هذه مقارنة ظالمة.

جرجس: أرجو ألاَّ أكون قد أسأت إلى شعورك لأنني في الواقع فكرت كثيراً جداً في هذه النقطة وأدركت أن الإيمان بإلهٍ واحدٍ هو بلا شك إيمان

عظيم لأنه حق، ولكنني كلما تأملت ذلك الإيمان وجدت أنه يقف عند حد العصمة من الخطأ، وقد أدهشني جداً هذا الاستنتاج؛ لأنني على الفور سألت نفسي عن معنى التسبيح والصلاة والحياة الأبدية، وأعترف لك أنني وجدت أن التسبيح والصلاة لا معنى لهما على الإطلاق ما لم يتحول هذا التوحيد إلى علاقة ايجابية بين الله والإنسان، وهي علاقة خطيرة جداً تؤثر في الكثير من العلاقات الأخرى، بل وتؤثر فيها العلاقات الأخرى. إن نفي الخطأ شيء عظيم، ولكن نفي الخطأ لا يبني أي شيء، إنه مجرد تحذير بلا قوة ايجابية. أمَّا الثالوث فهو توحيد ايجابي يشرح وحدانية الله، ويؤكد أن تثليث الأقانيم هو أساس كل علاقة بين الله والإنسان.

إبراهيم: لقد درست أنت هذه المواضيع، ولذلك أنت مستعد لكل سؤال، أمَّا أنا فإن هذه الموضوعات جديدة جداً بالنسبة لي ولم يسبق لي أن ناقشتها مع أحد من قبل، ولكن لدي سؤال هام: إن العلاقة بين الله والإنسان علاقة قائمة على طرفين هما الله والإنسان، وطبعاً الطرف الأقوى والأساسي هو الله باعتباره الخالق، ولكن هل كل أحلام الإنسان وآماله في علاقة أقوى وأفضل معناه أن يستجيب الله لأحلام الإنسان وتطلعاته، ألا ترى أن العبد يطمع في كرسي سيده، وفي طعامه وفراشه، وإذا سمح له السيد بالجلوس على مائدته ربما بعد ذلك ازدادت أطماعه وامتدت يده إلى زوجة سيده، ويجد السيد نفسه في النهاية وقد صار أسيراً أو عبداً لعبده.

جرجس: إن سؤالك يثير موضوعين منفصلين تماماً ... وأول نقطة هي مدى استجابة الله لأحلام الإنسان، وبعد ذلك مقارنة أحلام الإنسان بأطماع العبد في مركز وممتلكات سيده. النقطة الأولى أساسية، أمَّا النقطة الثانية فهي فرعية. إن الله لا يستجيب لكل أحلام الإنسان بشكل مطلق،

وإنما يمنح ما يمكن أن تحتمله الطبيعة الإنسانية، وعلى سبيل المثال: إن الإنسان محدود ولا يمكنه أن يكون موجوداً في كل مكان، فهذا فوق طاقة الإنسان. وأيضاً بالنسبة للإدراك: الله هو مصدر الحكمة والعقل، وحكمة الله تفوق قدرة واحتمال الطبيعة الإنسانية، ولذلك لا يستطيع الإنسان – حتى لو شاء – أن يصبح مثل الله في الحكمة، ولكن يمكن مثلاً أن يوهب الإنسان الحياة الأبدية، ويمكن أيضاً أن يكون الإنسان ابناً لا عبداً .. أي بنوة مقيدة بإمكانيات عطاء الله واحتمال الطبيعة الإنسانية. أمَّا عن النقطة الثانية، فهي في الواقع قائمة على خطورة الطمع، وفي الواقع السيد، سيد لوجود العبد، والعبد، عبد لوجود السيد، أي أن طبيعة العلاقة بين الاثنين هي التي جعلت السيد، سيداً، والعبد عبداً. الأول بكل مظاهر الخشونة والأنانية وهي التي كونت العبد بكل ما لديه من أطماع، وبالتالي فإن هذا التصور لا يمكن أن ينطبق على علاقة الإنسان بالله لأنها ليست علاقة الخشونة والاستعلاء وكل مركبات النقص الأخرى، ولكنني أحب أن أعرف .. ما علاقة سؤالك عن أحلام الإنسان بعقيدة الثالوث؟

إبراهيم: لقد تعلمت منك طريقة نصب الأشراك، فقد نصبت لي شرك المقارنة بين الغرفة والمنزل أي التوحيد والتثليث، وها أنت قد تناقضت مع نفسك لأنك تؤكد أن كل أحلام الإنسان غير ممكنة، لأن طبيعة الإنسان لا تحتمل أن يقترب من الله بالشكل الذي يريده الإنسان.

جرجس: أنا متفائل جداً بنتيجة هذا الحوار، ومع أنني لم أنصب أي أشراك إلاَّ أنني أجد نقطة أساسية عندك وهي أنك شديد التشاؤم بالنسبة للإنسان، ذلك أن الموضوع كما تتصوره هو قهور الإنسان وأطماع الإنسان وأخطاء الإنسان وتنسى نقطة هامة، ماذا عن عطاء الله وسخائه ومحبته للإنسان ورغبته في أن يشاركه الإنسان خيراته الوفيرة، أرجو أن يقابل

تشاؤمك الإنساني، تفاؤل من جهة الله. الله يريد أن يعطي، وقد أعطى فعلاً وكشف لنا عن أحضانه الإلهية الواسعة، وها هو يطلب من كل مَن يريد أن يأتي إليه ليكون عنده ابناً ولكي يتم التبني عن طريق الآب وبالابن وفي الروح القدس فهل تقبل؟

إبراهيم: ماذا أقبل؟

جرجس: التبني، وهل لديك شيء أفضل منه لكي ترفض التبني؟

إبراهيم: لا. ولكن تصور قلبي وأفكاري هي تصورات خوف ووهم من التبني.

جرجس: هذا طبيعي لأن كل جديد يثير الرهبة.

إبراهيم: سوف أتكل على الله الآب والابن والروح القدس لكي أفوز بمراحم الله غير المحدودة وأعترف بالآب والابن والروح القدس.

الحوار الثاني

مضت عدة أيام منذ حوارنا الأول، لم أقابل فيها إبراهيم، ولكن الله رتب أن نتقابل في قداس عيد التجلي، حيث احتفلنا ليس بتجلي الرب فقط، بل أيضاً بالمجد الدائم الذي سوف تناله الطبيعة الإنسانية في القيامة والذي كشف عنه المسيح عندما تجلى بهذا البهاء العجيب، غير أن مناسبة العيد صارت فرصة للحوار.

إبراهيم: إن ذلك المنظر العجيب الذي تحدث عنه الكاهن في العظة جعلني أدهش في بادئ الأمر، فقد كنت لا أعلم من قبل أن الثالوث ظهر بشكل خفي في التجلي، الآب يقول هذا هو ابني الحبيب، له اسمعوا، والابن في حالة البهاء، والروح القدس في شكل سحابة منيرة دخل فيها التلاميذ مع الرب، وهو ما جعل التلاميذ يخافون. ولقد أفاض أبونا في شرح المجد وعدم الفساد الذي سوف نناله، إلاَّ أنه لم يشرح علاقة هذا بالثالوث.

جرجس: أظن لأن الوقت لا يتسع، ولأن موضوع تجلي الرب على جبل تابور من أضخم الموضوعات التي كتب فيها الآباء، وإذا كان الأب الكاهن اكتفى بالحديث عن مجد الطبيعة الإنسانية في المسيح، فإنني اعتقد أنه يمكن لنا أن نتحدث عن مجد الثالوث حسب طاقة الطبيعة العقلية الإنسانية، وكما نرى من نصوص الأناجيل أن الآب تحدث من السحابة، لكي ندرك أن الإعلان عن بنوة الابن لا يتم إلاَّ بالروح القدس، ولذلك طلب الآب منا أن نسمع للابن وقال لنا بوضوح ''له اسمعوا''؛ لأننا إذا سمعنا ربحنا بركات طاعة الإيمان بما جاء به الابن، أي المجد والبهاء الذي ظهر على الجبل. ولكن كما ترى أن القديس لوقا

بشكل خاص يؤكد أن التلاميذ والرب صاروا معاً في السحابة، وقد أدرك الكل في تلك اللحظة وحدة الكنيسة الجامعة لأن بطرس تعرف على موسى وإيليا وهو في الحقيقة لم يعرفها من قبل، فهما عاشا قبل بطرس بعدة مئات من السنين، غير أن الروح القدس كشف له عن هوية الرجلين الذين تحدثا مع الرب، وكلاهما كما نعرف كان ذو غيرة نارية على وحدانية الله. فموسى لم يحارب الوثنية فقط، بل هو أول من استلم الوصايا العشر التي تعلن بوضوح عن وحدانية الله، وإيليا هو الذي طلب نزول نار من السماء لكي تؤكد غلبة التوحيد على وثنية أنبياء البعل. كلاهما ظهرا عندما كان الآب ينادي ويقول "هذا هو ابني" لكي يدرك التلاميذ أن أنبياء العهد القديم إنما يشتركون معهم في الإعلان الجديد. وقد كشف الروح القدس وبشكل خاص عن موسى وإيليا لكي يدرك الرسل أن الإيمان بالمسيح ليس ضد وحدانية الله، ولكنه بشكل خاص. يشرح الإيمان بالله كثالوث من خلال ذلك البهاء العجيب الذي ظهر به الرب على الجبل.

إبراهيم: توجد نقطة غير واضحة، وهي إصرارك على اعتبار أن الإعلان عن المسيح لا يتم إلاَّ بالروح القدس.

جرجس: هذا حق .. ولكن لماذا تحيِّرك هذه النقطة بالذات؟

إبراهيم: لماذا لا يعلن كل أقنوم عن نفسه لكي نستريح ولا نقع في مشاكل؟

جرجس: سؤالٌ جيد ... لقد اتفقنا من قبل على أن الأقنوم ليس الفرد، وإنما **هو الشخص الذي يكمِّل وجوده وكيانه شخص آخر، وهي حالة الوجود الكامل التي تجعل الأقنوم غير مكتفٍ بذاته، بل هو في حالة عطاء دائم.**

إبراهيم: هذا عجيب حقاً ... أنت تعتبر أن الأقنوم الذي لا يكتمل وجوده أو كيانه إلاَّ بوجود شخص آخر يشاركه كل شيء .. أنت تعتبر هذه حالة كمال .. الكمال هو ألاَّ يكون في أي احتياج.

جرجس: الكمال والاحتياج موضوع تحدده الفلسفة وتختلف فيه مع اللاهوت .. إن الكمال لا يعني عدم المشاركة، ولا يتعارض الكمال مطلقاً مع المشاركة، ذلك أن الكائن الذي لا يعطي ولا يأخذ هو عملياً غير موجود، وعلمياً مستحيل.

إبراهيم: حقاً، علمياً كل الكائنات تتشارك وتأخذ وتعطي، ولكن ما قولك عن الله الواحد الذي لا يأخذ ولا يعطي.

جرجس: الله لا يعطي؟! ... إن العالم كله بكل ما فيه سوف يعارضك.

إبراهيم: طيب لا يأخذ.

جرجس: يأخذ دون أن يكون محتاجاً، فهو يعطي كما يقول الرسول يعقوب "يعطي بسخاء ولا يعيِّر"، ولكنه يأخذ أيضاً، إذ يعود العطاء إليه مع ثماره وهو الإنسان وكل أعماله. لقد خلق الله الكون، هذا عطاء ولكنه صار مسئولاً عن الكون وعن مصيره، وهذه شركة. والشركة ليست عطاءً فقط، أنها أخذ أيضاً. فالله يعطي الحياة والوجود، والاستمرار في الحياة، ولكنه لا يحصل على شيء في المقابل، وإنما عندما يخلق أشخاصاً مثل البشر تتحول مسئولية الله من مسئولية عن الوجود إلى مسئولية عن المصير أيضاً.

إبراهيم: هل تعني بذلك أنه يوجد فرق بين معاملة الله للنبات ومعاملة الله للإنسان؟

جرجس: بكل تأكيد .. هذا بلا شخصية، أمَّا الإنسان، فهو قمة الوعي والتطور. والوعي هنا هو إدراك الإنسان لخالقه الله، وهو يتطلب من الله مسئولية أرفع من مجرد حفظ الحياة، أي مسئولية المصير. وهكذا نرى أيضاً أن الكائنات التي خُلقت لأجل الإنسان، مثل العشب والخضروات لا تصل إلى ذات العلاقة التي يصل إليها الإنسان. وهكذا حتى في علاقة الإنسان مع غيره من الكائنات، لا تصل علاقته بالحيوان مثل علاقته

بغيره من البشر، وليس هذا أمر ضد الكمال .. إن تصور الكمال على أنه نوع من العزلة التي تقوم على حالة الاكتفاء بالذات يشبه إلى حد كبير حالة الاكتفاء الذاتي المطلق وهو صورة للأنانية والعزلة ولبس صورة للكمال.

إبراهيم: كيف نفهم كمال الله إذن ..؟

جرجس: الله حقاً كامل، بل هو مصدر كل كمال نعرفه، ولكن كمال الله لا يمنعه من أن يخلق الإنسان، والنملة التي تبدو وكأنها بلا فائدة لنا. وقد رسم الله غايةً لكل هذه المخلوقات وحدد لها مصيراً معروفاً. وكان الله قادراً على أن يظل وحده بلا شريك له في خيراته ولكنه خلق الملائكة والإنسان والكون وصار هؤلاء شركاء له في خيراته. فهل انتهى كمال الله، وهل اختفى اكتفائه الذاتي ..؟

إبراهيم: طبعاً لا، ولكن كيف ينطبق هذا الكلام على ما ذكرته عن الأقنوم؟

جرجس: الله ليس أقنوماً واحداً، بل ثلاثة أقانيم، ولذلك فإن المشاركة واكتمال كل أقنوم بوجود آخر يتم في الطبيعة الإلهية فقط ولا يتم في علاقة الله بالإنسان .. فالآب لا يكتمل وجوده كآب إلاَّ بالابن، وكذلك الابن لا يكتمل وجوده إلاَّ بالآب، وهنا فإن العلاقة كما ترى تتم في الطبيعة الإلهية نفسها.

إبراهيم: ولكن لماذا ترفض اعتبار الأقنوم فرداً ..؟

جرجس: الفرد كما نراه، هو محاولة اكتفاء بالذات ومحاولة عزلة، والصورة الواضحة للفرد تراها في مستشفى المجاذيب فقط أو عند الشواذ من الناس.

إبراهيم: كيف؟

جرجس: الذي ينعزل تماماً، لا يعطي ولا يأخذ، ويصل في النهاية إلى الجنون أو الموت ويتوقف عن النمو والتطور .. ولذلك فإن حالات الجنون المطبق

هي حالات يتوقف فيها نمو المجنون إذ يصل إلى وضع لا يتطور فيه مطلقاً ولا يسمح فيه بأن يشاركه أحدٌ ما في الوضع الذي وصل إليه .. وأفضل مثال هو نوع الأمراض التي تصيب النبلاء الذين يفقدون صلتهم بالمجتمع.

إبراهيم: ولكن الله كان منذ الأزل وحده ..

جرجس: كان منذ الأزل وحده؛ لأن أقانيم الثالوث ليست أفراداً كل فرد فيها منعزل تماماً عن الآخر، بل يكتمل وجوده بوجود أقنوم آخر، ولذلك كانت شركة الأقانيم هي الشركة الأزلية الكائنة قبل خلق الزمان. فالشركة أزلية مثل أزلية التوحيد.

إبراهيم: يمكن أن نطبق كلامك هذا على الآب والابن، وماذا عن الروح القدس.

جرجس: من السهل علينا فعلاً أن نرى كيف يكتمل وجود الآب بالابن والابن بالآب، ولكن صعوبة اكتشاف علاقة الآب بالابن بالروح القدس هي عائدة بشكل خاص إلى اسم الأقنوم الثالث، فهو لا يحمل في الواقع اسماً مميزاً بل اسماً شبه مجهول، فهو الروح وكل أقنوم هو روح .. وكل أقنوم هو قدس أو قدوس، ولذلك صار من الصعب علينا أن نشرح عمل الروح القدس، أو طبيعة علاقته بالآب من خلال التحليل اللغوي وحده، لأن العقل البشري قادر على أن يتصور ولادة الابن من الآب، ولكنه يجد صعوبة في الكلام عن الانبثاق، وهي الكلمة التي تحدد لنا علاقة الروح القدس بالآب.

إبراهيم: إذن نحن نتحدث عن ولادة وانبثاق، فما هو الفرق؟

جرجس: لا يوجد فرق جوهري، وإنما كلمة «ولادة» تُستعمل للابن، وكلمة "انبثاق» تُستعمل للروح القدس. وما هو واضح هو تخصيص كلمة خاصة لكل أقنوم لكي يتأكد في الفكر البشري وبكل وضوح التمايز القائم بين الأقانيم الثلاثة، ولذلك درجنا على استخدام الأبوة للآب

والبنوة للابن والانبثاق للروح القدس .. وفي الواقع إن الأبوة والبنوة يعلنهما الروح القدس. فهو يعلن الآب كآب لكل الخلائق، ويعلن الابن كمصدر الهي أو ينبوع الهي للتبني بشكل خاص لكل مَن يؤمن.

إبراهيم: هل يوجد فرق بين الأقانيم؟

جرجس: لا يوجد فرق في الطبيعة؛ لأن كل أقنوم يشترك مع غيره من الأقانيم في الصفات الإلهية مثل القوة والمعرفة والقداسة .. الخ، ولكن لكل أقنوم صفة خاصة تميزه عن غيره من الأقانيم، الآب تميزه الأبوة، والابن تميزه البنوة، والروح القدس يميزه الانبثاق.

إبراهيم: وما هي قيمة أو أهمية هذا التعليم؟

جرجس: قيمة هذا التعليم تعود إلى حقيقة فداء الإنسان .. فالإنسان يجد بنوته في الثالوث عن طريق الابن، ويجد أبوة الله له عن طريق الآب، ويجد وسيلة تحقيق هذا كله بالروح القدس. ولذلك السبب يدعى الروح القدس روح الآب، وأحياناً روح الابن؛ لأنه يقدم للإنسان عطية الأبوة الإلهية، وعطية التبني في المسيح. وهكذا في تمايز الأقانيم تأكيدٌ لبنوة الإنسان، وأبوة الله للإنسان. فليس هذا تعليم معقد زائد كما يظن السذج الذي لم يختبروا بنوتهم لله.

إبراهيم: إذا كان لا يوجد فرق بين الأقانيم كما تقول إلاَّ الصفة الأقنومية، فما هي علاقة الأقانيم بالجوهر الإلهي، أو لكي يكون سؤالي واضحاً بشكل آخر: عندما تصلي للابن ألا يتضايق الآب، أم علينا أن نصلي للآب فقط؟

جرجس: إن سؤالك يكشف عن مقدار تأثرك بالعلاقات البشرية، ذلك إننا عندما نخاطب أحد الناس في وسط حشد أو جماعة وعندما تخصه هو دون غيره بالحديث والانتباه، فالغالبية من الناس تتضايق، لكن هذه النظرة الضيقة قائمة على التفاوت والكبرياء عند الناس، لا يمكن

أن تكون سلوك الله لأن الله لا يتحلى بالنقص، بل بالكمال. ومما لا شك فيه انك تتصور الثالوث كما تتصور جماعة من الناس يعيشون في انفصال، بينما الواقع هو العكس؛ لأن الثالوث هو في الله الواحد، فليس بين الأقانيم اختلاف أو انقسام أو مسافة تفصل بين كل أقنوم. هذا التصور لا يجوز مطلقاً طالما أن الحديث هو عن الله الذي له طبيعة بسيطة فائقة لا تقسيم فيها ولا تجزُّؤ، **وطالما أن الآب والابن والروح القدس طبيعة واحدة، وطالما أن الآب لا يوجد بدون الابن أو الابن بدون الآب أو الروح القدس بدون الآب، فكل صلاة موجهة لأي أقنوم هي في الواقع موجهة للأقنومين الآخرين**، وتوجيه صلاة للآب لا يُغضب الابن؛ لأن الابن واحدٌ مع الآب في الجوهر، ولأن الثالوث هو مصدر الوحدة والاتفاق وليس مصدر التشويش والتقسيم والخوف .. الخ.

إبراهيم: لقد شرحت بكل وضوح وحدة الأقانيم وذكرت أنهم يشتركون في الطبيعة الإلهية الواحدة، إذاً لماذا يوجد أقانيم في هذه الطبيعة الإلهية الواحدة لماذا لا نكتفي بذات الله الواحد ونقصر الكلام عن ذلك حتى لا نقع في مشاكل؟

جرجس: أولاً، علينا ألاَّ نخاف من المشاكل؛ لأن المشاكل هي علامة على أننا فعلاً في علاقة صحيحة مع الله، وهذه علامة على أن علاقتنا بالله ليست سطحية.

إبراهيم: كيف؟

جرجس: تصور كيف كانت علاقتنا؟ منذ سنة كنت أراك في الكنيسة، وكنا نكتفي بالتحية، أمَّا الآن وقد تعرفنا، فقد بدأت المشاكل، أعني وجدنا اختلافات في وجهات النظر وما إليه، وهذا يؤكد أننا بدأنا فعلاً علاقة حقيقية، فكل علاقة حقيقية لا تخلو من المصاعب. ولذلك، الديانة التي تجعل من الله موضوعاً سهلاً هي ديانة تجعل علاقة الله بالإنسان علاقة

سطحية لا مجال فيها للمواجهة والفهم. أمَّا الديانة التي تجعل علاقة الله بالإنسان علاقة عميقة فهي لا تقدم تعليماً سهلاً عن الله يمكن ابتلاعه بسهولة، بل تقدم تعليماً يحتاج إلى تفكير وإدراك، ومن هنا تنشأ المصاعب.

إبراهيم: هل تستطيع أن تشرح لي لماذا الأقانيم في الذات الإلهية؟

جرجس: لقد أجبت على سؤالك لكن يبدو لي انك لم تنتبه ... ذات الله واحدة ... ونحن نقول ذلك عندما نتحدث عن التوحيد، ويمكنك أن تكتفي بذات الله الواحدة، ولكنك ستجد نفسك عاجزاً عن تفسير معنى العيد الذي نحتفل به اليوم أي عيد التجلي، وبالطبع يمكنني أن أضيف إلى هذا كل الأعياد، الميلاد والغطاس والجمعة الكبيرة وعيد القيامة وعيد العنصرة .. كل هذه الأعياد قائمة على عقيدة الثالوث، أي تثليث الأقانيم وتوحيد الذات الإلهية، وأنا لا أقصد الأعياد كأعياد، وإنما كمناسبات للخلاص، وإذا تحدثنا اليوم عن مناسبة هذا العيد، فإننا رأينا الرب على الجبل، وسمعنا صوت الآب، ورأينا الروح القدس في السحابة. والآب يطلب منا أن نقبل الابن، لأن قبولنا للابن يعني في النهاية الاشتراك في المجد الذي أعلنه الابن عندما ظهرت ثيابه بنور أقوى من لمعان الشمس. هذا ما سوف نناله إذا آمنا بالثالوث وتركنا له فرصة العمل فينا، في داخلنا، لكي يجدد الطبيعة القديمة الميتة. ولذلك لا نستطيع أن نفسر خلاص الإنسان بالاعتماد على التوحيد فقط، بل إن هذا التفسير هو أصلاً مستحيل. أمَّا لماذا الأقانيم في الذات الإلهية؟ .. الذات الإلهية واحدة، ولكن في هذه الذات الواحدة يوجد ثلاثة أقانيم لا وجود لذات الله بغيرهم .. ولذلك الثالوث هو توحيد صحيح لا يأتيه الباطل أو الضلال مطلقاً، فهو توحيد لذات الله من جهة، ولكنه أيضاً شرح لعلاقة الله بنا.

إبراهيم: إنني متمسك بالسؤال، واعتقد أنني لم اسمع إجابة. لماذا ثلاثة أقانيم؟ لماذا لا تكون هذه الأقانيم أربعة أو خمسة، ولماذا لا نكتفي بالآب والابن؟

جرجس: ليس هذا سؤالاً صعباً مطلقاً، ولا تظن انك قدَّمت معضلةً .. لماذا لا تكون أصابع اليد ثلاثة، لماذا خمسة؟ ولماذا لا يسير الإنسان على ثلاثة أقدام؟ كل هذه الأسئلة ليست من المعضلات لأنك إذا درست حركة جسم الإنسان لا سيما اليد لوجدت أن الأصابع الخمسة هي أفضل وضع يحقق للإنسان القيام بعدة أعمال متنوعة ويعطي له سرعة وقوة للإمساك بالأشياء الكبيرة والصغيرة. وهكذا لو درست حركة الله في الخلاص لوجدت أن الثالوث هو الإعلان الوحيد الذي ارتبط بالعلاقة بنا، فهو لم يكشف عن خمسة أو أربعة أو اثنين، وإنما كشف عن ثلاثة فقط. وكما نرى أن لكل أقنوم عمل خاص قام به من أجل الإنسان، فما هي المشكلة؟

إبراهيم: المشكلة هي في الرقم ثلاثة؛ لأنني أرى انك لا تريد أن يزيد، وترفض أن ينقص.

جرجس: ليست القضية الأساسية هي قضية زيادة أو نقص، وإنما القضية الأساسية هي إعلان الله عن نفسه بهذا الشكل، وليس في هذا الإعلان أي إرغام للإنسان. يمكنك أن تقبل هذا الإعلان ويمكنك أن ترفض .. أنت حر، ولكنك لا تملك أن تهاجم وان تسخر من الذين يؤمنون بالثالوث طالما أنهم يقدمون لك إجابة مقنعة.

إبراهيم: لقد ذكرت سابقاً أن الثالوث توحيد صحيح، فهل يعني هذا أن عدم الإيمان بالثالوث يؤدي في النهاية إلى هدم التوحيد؟

جرجس: ربما من الأفضل أن تستعمل تعطيل التوحيد، لا هدمه؛ لأن الذي يهدم التوحيد هو الشرك، ولكن التوحيد بدون ثالوث يعني في النهاية عدم استفادة الإنسان من التوحيد.

إبراهيم: كيف؟

جرجس: الله واحد .. لا جدال على هذه القضية ... ولكن الاكتفاء بالتوحيد على هذا النحو يعني عدم وجود علاقة حقيقية بين الإنسان والله.

إبراهيم: لماذا ..؟ ألا يكفي أن يعبد الإنسان الإله الواحد؟

جرجس: عبادة الإله الواحد عمل عظيم وإيمان مقدس، ولكن كما ترى أنت إن التوحيد يقف بنا عند حد عبادة الله الواحد. هنا تقف علاقة الإنسان بالله وعلاقة الله بالإنسان.

إبراهيم: وهل تريد أنت أكثر من ذلك .. ألا يكفي هذا .. وهل يوجد مجال آخر غير عبادته تعالى؟

جرجس: لقد كنا على الجبل نحتفل بالتجلي، وطبعاً رأينا على الجبل أن عبادة الإنسان لله وهي علاقة حقيقية وصحيحة لا تكفي الإنسان ولا تكفي الله. ولهذا السبب قلت إن التوحيد وحده يؤدي في النهاية إلى تعطيل التوحيد ولعل أفضل مثال على هذا هو علاقتنا. لقد كنت أعرفك يا إبراهيم، كنت أعرف اسمك وأبادلك التحية، ولو توقفنا عند هذا الحد فماذا ستقول؟ ألا يشبه هذا إلى حد بعيد من يعرف أن الله واحد ويقف عند هذه النقطة.

إبراهيم: هذا صحيح. ولكن ألا ترى أن معرفتنا بالله الواحد تعني أيضاً معرفة بصفاته وقدراته وأوامره.

جرجس: كل هذا جيد جداً .. ولكنها معرفة عقلية تُبقي الله خارج الكيان الإنساني كموضوع عقلي، وبذلك يبقى الله بعيداً. أنا أريد الاشتراك في الحياة الإلهية وهذا ما أتطلع إليه، وما أشتاق إلى معرفته. ولذلك لا أجد أي رغبة في الوقوف عند ذكر الله الواحد. فهذه قضية لا صواب فيها مطلقاً لأنها قضية سلبية؛ فهي نفي للتعدد وقطع كامل لكل صور الشرك، ولكنها تترك الله بلا إعلان عن نفسه. وكأنني أتصورك تقول

لست جرجس ولا محسن، ثم تقف عند ذلك دون أن تذكر اسمك ودون أن تعرفني بنفسك. ولا تفعل ذلك إلاَّ إذا كان لديك سبب قوي يدعوك إلى هذا فما هو السبب؟

إبراهيم: لأن البحث في ذات الله خطر وطريق شديد الوعورة كله أخطار ومزالق.

جرجس: أنا لا أنكر صعوبة الطريق، وإنما الذي أبحث عنه موضوع آخر: هل سيظل الله نكرة لا نعرفه إلا بالواحد؟ لا تنس أن علاقة الإنسان بالله هي علاقة دائمة قد يحيط بها الضعف هنا على الأرض، أمَّا في السماء فالموضوع مختلف تماماً، ولذلك فالتوحيد بدون ثالوث هو تأكيد على تجميد علاقة الإنسان بالله إلى درجة المعرفة السطحية، وهو ما يؤدي في النهاية إلى إنكار هذه العلاقة. لا يكفي أن ينهي الإنسان نفسه عن الشرك بعبارة لا اله إلا الله، وهي من أسمى ما عرف الإنسان في تاريخه الروحي، لكن عليه أن يتقدم إلى ما هو أعمق من مجرد إنكار الشرك إلى الثالوث حيث يكشف الله عن نفسه ويعلن كل أسراره للإنسان.

إبراهيم: ولكن ألا يكفي الإنسان أن يعبد الله ..؟

جرجس: العبادة درجات، فماذا تعني بكلمة عبادة؟ هناك من يعبد الله لمجرد طاعته والحرص على وصاياه، وهناك من يعبد الله رغبةً فيه هو لا طمعاً في ثواب أو جنة، ومن رَغِبَ في الله لا يقف، فلا حدود يمكنها أن توقف المحبة.

إبراهيم: ولكن طبيعة الله ليست مثل طبيعة الإنسان، ولذلك حتى في حالة المحبة يظل بين الله والإنسان فوارق ضخمة لا يمكن للإنسان اجتيازها.

جرجس: هذا حق، ولكن مع وجود الفوارق لا تتحول علاقة الله بالإنسان إلى مجرد ترديد عبارات وكلام الشكر والامتنان، فهذه علاقة سطحية لا تمس كيان الإنسان، ولا علاقة له بما يمكن أن يكون بين الخالق

والمخلوق من مودة.

إبراهيم: لماذا لا تفصح عن هذه المودة لكي أدرك ما هي علاقة المودة بالثالوث.

جرجس: المودة هي الثالوث، ذلك أن الله يكشف عن نفسه وعن رغبته في احتضان الإنسان وإدخاله في شركة معه. هنا يقف دور التوحيد تماماً وتظهر قيمة الإيمان بالثالوث. التوحيد يشبه إلى حد كبير عبارات التحية، أمَّا الثالوث فهو يشبه القبلة والمعانقة.

إبراهيم: هذه عبارات صوفية، التحية والمعانقة .. الخ وهي بلا معنى.

جرجس: لا أدري ما إذا كانت هذه عبارات صوفية أم لا، إنما كل ما أدريه أنه بدون وجود الأقانيم في الذات الإلهية يظل الإنسان غريباً عن الله.

إبراهيم: كيف؟

جرجس: إذا كان الله واحد فقط، فلا تبنٍّ، وإن كان الله واحد في ثالوث، فالتبني هو رفع الإنسان إلى علاقة أسمى بكثير من مجرد وجوده في حضرة الله ليخبره بكلام وتضرعات وصلوات .. الخ. إن الصلاة في ضوء الثالوث هي محور هذه العقيدة، وهي التي تعطي للإنسان إمكانية معانقة الله.

إبراهيم: إذا كان التبني هو بهذا القدر، فهل يعني هذا أن التبني ينعكس على الصلاة نفسها.

جرجس: بكل تأكيد .. الإنسان يصلي ولا يكلم الآب السماوي فقط، بل تتحول الكلمات إلى علاقة، لأن الإنسان في ضوء عقيدة الثالوث ينال البنوة في الابن لكي ترتفع علاقته بالله إلى حيث لا كلام بل إلى اتصال حقيقي. وهكذا كل رفضٍ للثالوث هو في الواقع رفض لإمكانية الاتصال بالله. وكل تأكيد للوحدانية بدون الثالوث هو تأكيد على عزلة الإنسان، لا سيما في الحياة بعد الموت.

إبراهيم: هذا جيد .. ولكن ما هو هذا الاتصال الذي تتحدث عنه؟

جرجس: الاتصال يعني أن يشترك الإنسان في بعض صفات الله، وأن تتحول

الطبيعة الإنسانية إلى صورة سمائية تؤهل الإنسان إلى الحياة الأبدية، لأن الإنسان خُلق على صورة الله لكي يصل إلى هذه الغاية.

إبراهيم: بعض صفات الله .. !! كيف تحدد هذه الصفات؟

جرجس: الواضح جداً هو مشاركة الإنسان لما يجود به الابن مثل معرفة الآب، ومثل القداسة، والأهم: المحبة. أمَّا الأزلية والقدرات الإلهية الخاصة، فالإنسان ينال منها ما تسمح به الشركة أي شركة المحبة الإلهية. ويمكننا أن نقول بكل وضوح إن الإنسان مخلوقٌ على صورة الله كما ذكرنا من قبل. ولذلك فهو يتجدد لكي يصبح في حالة تمكنه من التشبه بالله. وهذا مستحيل بدون شركة في الله لكي تتحول هذه الشركة من معرفة إلى حياة، ولكي يسبغ الله عليه بالشركة ما يؤهله للعلاقة الأبدية الدائمة. وكما نرى، ما لم يكشف الله عما في داخله من استعدادات تؤهل الإنسان لهذه العلاقة، لما استطاع الإنسان أن يقترب من الله.

إبراهيم: في هذه الحالة يظهر لي أن عقيدة الثالوث هامة جداً، بل هي مركز حياة الصلاة ومركز العلاقة مع الله في المسيحية.

جرجس: لقد نطقت بالصواب كله، ولذلك نحن لا نرفض التوحيد، وإنما نرى أن التوحيد بلا تثليث هو حد وحائل يمنع الشركة بين الله والإنسان. عندما نقول الله واحد أو لا إله إلاَّ الله، فإننا نتوقف عند مجرد النهي عن خطأ جسيم وهو خطأ الشرك. ولكن عندما تقول باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، فإننا نصل إلى المعنى الحقيقي للتوحيد، وهو ثالوث الأقانيم، ووحدانية الذات الإلهية.

إبراهيم: هل أفهم من هذا أنه لا دور مطلقاً للتوحيد في حياة الإنسان الروحية؟

جرجس: العكس هو الصحيح .. التوحيد يعصم الإنسان من أخطاء جسيمة تطرحه بعيداً عن الله، ولذلك الثالوث بدون التوحيد خطأ جسيم، ذلك أن الثالوث لا يعبِّر في النهاية إلاَّ عن وحدانية الله. ثم أن التوحيد

هو الوحدة الكاملة للثالوث، وهي المثال الكامل للوحدة.

إبراهيم: كيف يعبِّر الثالوث عن وحدانية الله؟

جرجس: أولاً: تعلن الأقانيم الذات الإلهية الواحدة، فهي وحدة وشركة. وهذا يعني أن توحيد المسيحية هو توحيد شركة.

ثانياً: **يؤكد الثالوث وحدة عمل الله. ولذلك فكل ما يقوم به الله إنما يقوم به الآب بالابن في الروح القدس ونحن نعني بهذه العبارة أن الآب يخلق كل الكائنات بقدرته وقوته، والابن يجعل كل ذلك معلناً ومعروفاً للخلائق بالروح القدس، عمل واحد لثلاثة أقانيم ولكن قوة واحدة وإرادة واحدة.**

ثالثاً: يعلن الثالوث وحدانية الله بشكل خاص، ذلك أن الوحدانية الصحيحة هي القائمة على الذات الواحدة، وهنا لا يصبح التوحيد مجرد إنكار للشرك، بل تأكيد على حقيقة ايجابية، وهي أن الذات واحدة، ولكن في هذه الذات يمكن أن نميز الأقانيم الثلاثة، وبهذا لا يقف العقل عند المدلول السلبي للواحد، بل تصبح عقيدة الثالوث بعثاً إيجابياً للفكر البشري. ذلك أن أخطر ما يمكن أن يهدد الفكر البشري هو الوقوف عند السلبيات، وعدم التقدم نحو الإيجابيات.

إبراهيم: هل تعني أن للعقيدة الدينية أخطار وآثار على فكر الإنسان؟

جرجس: بكل تأكيد .. إن عبارة الله الواحد عبارة مبهمة سلبية تماماً تحوِّل الإيمان بالخالق إلى مجال اللاوعي. وفي الوقت الذي تنهي فيه عن الشرك لا تفتح الطريق أمام علاقة ايجابية مع الله .. لا يكفي أن تنهي الإنسان عن خطأ أو تخيفه، فهذا لا يساعد الفكر الإنساني على النمو، بل يجمِّد الفكر الإنساني .. إنه – بشكل خاص – يقتل حرية الفكر إذ لا يكفي أن يعرف الإنسان الخطأ، بل عليه أن يعرف الصواب أيضاً، وأن تنشأ في عقل الإنسان ثقة في إمكانية التعرف على الصواب. إن الله هو أعظم الحقائق التي يعرفها

الإنسان، فإذا جاءت أعظم الحقائق سلبية، فإن دور المعرفة انحصر في تجنُّب الخطأ. والوقوف عند الأخطاء معناه – في النهاية – انهيار التقدم .. ومن جانب آخر إن الله أعظم الحقائق في حياة الإنسان، ولذلك فإن الاكتفاء بعبارة الله الواحد، معناه انزلاق الإيمان بالله إلى أصغر مساحة ممكنة في حياة الإنسان، لأن عبارة لا اله إلاَّ الله تقف عند ما تعلنه من معاني، بينما الله الواحد في ثالوث تدفع الفكر البشري إلى البحث والتساؤل، فيصبح الله قضية أساسية في حياة الإنسان، وليس قضية منتهية عند تجنب الشرك، بل قضية دائمة يحاول الإنسان فيها أن يرى الحلول .. ومن ذلك نخلص إلى أن العقيدة الدينية تصبح نموذجاً للفكر البشري بكل اتجاهاته. فالعقيدة الدينية إذا توقفت عند السلبيات تعرَّض الفكر البشري إلى الغموض وأصيب بالخوف من الأخطاء، وأصبح ارتياد مجاهل المعرفة محظور عليه، أمَّا إذا قدَّمت العقيدة الدينية الايجابيات امتاز الفكر بالوضوح وبرغبة دائبة في البحث وارتياد آفاق المعرفة.

إبراهيم: هل هذه مقارنة بين التوحيد الايجابي أي الثالوث، والتوحيد السلبي الذي يرفض الثالوث.

جرجس: نعم .. ولعلك تدرك يا إبراهيم قيمة الإيمان بالله الواحد المثلث الأقانيم؛ **لأن الثالوث هو دعوة مفتوحة لمعرفة لا تقف عند حد**، ومهما قلنا وذكرنا، يظل موضوع الله الثالوث غير منتهٍ بالنسبة لنا. أمَّا التوحيد السلبي، فهو موضوع منتهٍ، وهذه مشكلة؛ لأنه يحول الإيمان من العقل الواعي إلى اللاوعي.

إبراهيم: كيف؟

جرجس: السلبيات والنواهي تنام في العقل الباطن وفي اللاوعي لأنها تصبح جزءاً من مخاوف الإنسان. أمَّا عبارة جوهر واحد وثلاثة أقانيم، فهي عبارة تتحدى الوعي والإدراك.

الحوار الثالث

مرت عدة أيام على اللقاء السابق، وجاء عيد العذراء والدة الإله مريم، وتقابلنا للمرة الثالثة في القداس .. كان إبراهيم مشرق الوجه قد كساه نورٌ روحيٌ لا يراه إلاَّ من تمتع بشركة حقيقية مع الله، و لم يكن لديَّ أي استعداد للحديث، ولكن إبراهيم بادرني بالحديث، ودار بيننا الحديث التالي:

إبراهيم: لقد تذكرتك كثيراً يا أخي، وأنا أشعر من نحوك بالامتنان الفائق، لكن تلح عليَّ فكرة جديدة وهي: إذا كانت المحبة هي أسمى ما في حياة الإنسان وأسمى ما في حياة الله، فكيف يمكن لنا أن نقول إن الثالوث هو تعبير عن هذه المحبة؟

جرجس: المحبة ليست مشاعر في القلب، إنها ليست «استلطاف»، بل هي شركة أو عطاء. وهكذا يعرف الرسول يوحنا المحبة ''هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية». وفي هذه العبارة المحبة هي عطاء لأن الآب بذل ابنه، ولكن العطاء لا يتوقف عند البذل، أنه يمتد ليشمل عطية الحياة الأبدية، وهكذا يدخل الإنسان في شركة مع الله، ولا يظل الإنسان محبوساً مغلقاً عليه، ولا يظل الله محبوساً مغلقاً عليه، بل تقوم علاقة بين الاثنين يتم فيها العطاء من جانب الله، فالإنسان لا يملك أن يعطي الله شيئاً.

إبراهيم: هذا جيد، ولكن لماذا لا تتحقق العلاقة بين الله الواحد في محبته والإنسان الواحد في محبته، ما هو دور الثالوث، أو لماذا الثالوث؟

جرجس: ربما من المناسب أن نستعرض معاً شيئاً عن تاريخ كلمة أقنوم في الكتاب المقدس نفسه، ففي هذا التاريخ يكمن سر إعلان المحبة الذي رافق إعلان الثالوث .. الأقنوم أصلاً تعني الوجه، عندما رأى يعقوب

الله بعد الصلاة التي دامت طول الليل، قال أنه رأى ''فنوئيل''، أي وجه الله. والوجه هو تعبير عن الشخصية، ذلك أن الشخصية لا يمكن إدراكها إلاَّ من الوجه، فما يميز إنسان عن إنسان هو الوجه.

إبراهيم: لا أظن بأنك ترضى بأن تقول إن لله ثلاثة وجوه؟

جرجس: طبعاً لا، ولكن أصل الكلمة يعني الوجه، والوجه كما تعرف نقصد به التعبير، وليس مجرد الملامح. الوجه كتعبير وليس كملامح عامة، وأنا أعني بهذا أننا كلنا لنا نفس التركيب .. العينين، الأنف والفم .. الخ ولكن هذا التركيب لا قيمة له ما لم يعبِّر عن شيء، مثل الصفاء أو الأمانة، وقد يكون الخبث والدهاء. والوجه ليس شيئاً مجرداً، بل الوجه في واقعه كتعبير ..، هكذا وُلدت كلمة أقنوم، من خلال الخبرة التي عاشها يعقوب مع الله، هذه الخبرة الروحية انحصرت في علاقة ذات مستوى معين. طلب يعقوب البركة من الله فرأى وجه الله فقط، ولكن هذا الوجه أصبح يشرق لنا بالمحبة بعد ذلك .. تأمل كلمات الرسول بولس وهو يستخدم كلمة أقنوم في معناها القديم ''الله الذي قال أن يشرق النور من ظلمة هو أشرق في قلوبنا نور معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح''. لقد أعطانا وجه يسوع المسيح أن نعرف الله، ليس بشكل فلسفي مجرد، بل بشكل واقعي، هو وجه يسوع المسيح، أقنوم الكلمة الذي جاء وتجسَّد وعبَّر بهذا عن محبة الله للإنسان.

إبراهيم: إنني لا زلت غير قادر على استيعاب حقيقة العلاقة بين محبة الله، والثالوث.

جرجس: معك كل الحق، ولكن لماذا لا تصبر بعض الوقت، لقد قلت لك إن الأقنوم هو وجه، وإن الوجهَ تعبيرٌ. وقبل المسيح لم نكن نعرف بشكل واضح وعملي أي شيء عن محبة الله. كنا نتأمل الكون فنرى خيرات الله التي وضعها في هذا الكون، ونشعر بمحبته، ولكن المحبة

لم تكن معلنةً بشكل واضح من الله، ذلك أن المحبة تعتمد دائماً – حتى بين البشر – على ما يعلنه كل طرف للآخر، أي على المكاشفة كما يقول المتصوفون ... ماذا يكشف المحب؟ يكشف عن ذاته، وعن أسراره، لأنه يشعر بالاطمئنان في حضرة حبيبه، ولذلك كان الله يكتفي بإشراق الرحمة في العهد القديم، وكانت كلمة أقنوم غامضة بعض الشيء حتى جاء العهد الجديد، وكشف عن الأقانيم الثلاثة في الذات الإلهية الواحدة. هذا الكشف تم في الوقت المناسب الذي كشف الله فيه عن محبته .. فقد عبَّر الثالوث عن حقيقة محبة الله لنا، إذ تعبِّر الأقانيم الثلاثة عن أبوة الله وعن بنوتنا نحن، وكلا الأبوة والبنوة هما ركيزة المحبة وأساسها القوي.

إبراهيم: لقد ذكرت تعبيرين فقط مع أننا نعترف بثلاثة أقانيم.

جرجس: نعم الأبوة والبنوة، ذلك أن علاقتنا بالله إنما تنبع من الآب وتصل إلينا في الابن بالروح القدس.

إبراهيم: هكذا بهذه السرعة قفزت إلى الثالوث ... ألا يمكننا التحدث عن محبة الله والوحدانية، ألا يمكن لله الواحد أن يكون هو محب البشر.

جرجس: أنت تصور الأمر كما لو كان التوحيد نقيضاً للثالوث، وهذا خطأٌ جسيم، يقع فيه عادةً المتطرفون الذين يخافون من عقيدة الثالوث .. إن المسيحية تعترف بذات الله الواحد، وهي بذلك لا تختلف مع كل ديانات العالم، إلاَّ حول ماهية الذات الواحدة .. ففي ذات الله الواحدة تظهر الأقانيم الثلاثة الآب والابن والروح القدس. وإذا عدنا إلى الموضوع الأصلي، وجدنا أن إعلان محبة الله في الكتاب المقدس قد بدأ بالتوحيد. كان الله يعلن عن وحدانيته، ولعلك قرأت كيف تحدث الله مع إبراهيم كواحد، وبعد ذلك ظهر له في ثلاثة رجال، وكيف كان الله ينتقل في حديثه من صيغة المفرد، إلى صيغة الجمع، ثم إلى صيغة

المفرد .. هذه الرؤيا هي إلهام عن حقيقة الثالوث، ذلك أن الله أرسل اثنين وبقى واحدٌ يتحدث مع إبراهيم، ولكن الحديث استمر بصيغة المفرد، وعندما عاد الاثنان استمر الحديث بصيغة المفرد لكي لا تتحول الرؤيا إلى إعلان عن تعدد الذات وهو مستحيل، بل لكي تؤكد وحدة الذات وتعدد الأقانيم ... لم يعرف يعقوب إلا القليل، كان الإعلان عن الثالوث مؤجلاً إلى تجسد الابن. وحتى إبراهيم نفسه كان يعرف الله الواحد، ولكن العلاقة مع الله الواحد كانت مجرد علاقة عهد، أمَّا عندما تجسد الابن، صارت العلاقة مع الله هي علاقة شركة في الحياة الإلهية، وقد عبَّر الرب يسوع المسيح عن هذه الحقيقة بقوله ''أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي، فرأى وفرح''. ولعل إبراهيم أدرك أن ما رآه عند بلوطات ممرا تحقق في مجيء ابن الله. إنني أريد أن أعبر إلى النقطة الهامة التي طلبتها، وهي كيف لا يعبِّر التوحيد عن محبة الله بذات القدر الذي يعبِّر به الثالوث .. إن التوحيد لا يكشف عن أسرار الله، إنه ليس مكاشفة بين الله المحب، والبشر المحبوبين منه، إنه عصمة هؤلاء البشر من الضلال ومن عبادة المخلوقات، ولكن عندما يجيء دور المحبة، فإن العطاء يصبح مستحيلاً تماماً ما لم يكشف الله عن ذاته، بالقدر الذي يمكِّن الإنسان من قبول محبة الله الكائنة في جوهره.

إبراهيم: ماذا تعني؟

جرجس: أعني عطاء الله لمحبته الإلهية.

إبراهيم: هذا كثير جداً !!

جرجس: ليس على الله .. قد يكون كثيراً على الإنسان أن يعطي ذاته، أمَّا بالنسبة لله فعطاء الذات هو المحبة الإلهية التي لا تتوقف عن العطاء.

إبراهيم: ذكرت عطاء الذات .. وقلت إن المسيحية تؤكد أن ذات الله واحدة، ألا يعني عطاء الذات أن التوحيد هو الطريق لهذا العطاء .. وكيف يتم

ذلك عن طريق الثالوث؟

جرجس: استطيع أن أضعك في موقف حرج، إذا عكست سؤالك، كيف يتم عطاء الذات بالتوحيد وهو لا يعطي أي مضمون، ولا يعبِّر عن المحبة، لأن التوحيد بدون ثالوث هو عزل للذات الإلهية الكاملة المحبة عن الإنسان الذي يعجز عن الوصول إلى الله. إن التوحيد في حقيقته، منعُ الخطأ، وإحقاق لوجود خالق واحد، سيد العالم، إنه لا يقدم أكثر من ذلك، أمَّا المحبة فهي علاقة حقيقية فيها المكاشفة وفيها الإعلان عن الذات والدخول في شركة، ولذلك تجد أن العهد الجديد مملوء بالكلام عن الثالوث؛ لأن الإعلان كَمُل. وأرجو ألا تهمل النظر في المواضع التي أكد فيها العهد الجديد وحدانية الله، لأن هذا يمنعنا من خطأ الشرك. في المحبة يعلن الله عن ذاته ويعرفنا ما في هذه الذات من أقانيم، هذا الأمر يفوق تصحيح خطأ الشرك، وينتقل إلى إعلان الحقيقة. **التوحيد تصحيحُ خطأٍ فقط، ولكن الثالوث هو إقامة علاقة. التوحيد تصحيحٌ لما سقط فيه الإنسان، أمَّا الثالوث فهو سعي الله لعطية حياة الشركة. إن الدلالة الروحية للتوحيد، هي تصحيح خطأ الإنسان، أمَّا الدلالة الروحية للتثليث فهي شركة الإنسان في حياة الله. الثالوث أساسٌ لإدراك كيف عَبَر الله الهوة الواسعة جداً التي تفصل بينه وبين الإنسان. عندما تجسد الأقنوم الثاني من الثالوث القدوس، تجسد الابن، فأصبح الثالوث واضحاً، ليس كمبدأ بل كشركة .. التوحيد مبدأٌ يحمي الإنسان من الشرك، أمَّا الثالوث فهو علاقة ... هو دخول إلى حياة حقيقية مع الله .. لقد عبر الله الفجوة بالتجسد، اتخذ أحد الأقانيم الثلاثة جسداً أي اقنوم الابن، لأن تجسد الابن يهدف إلى تحقيق بنوة الإنسان .. جاء الابن ليعطي البنوة ويجعل من كل إنسان ابناً للآب السماوي. وكان التجسد هو الوسيلة الوحيدة، ذلك أن اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح يعني**

بشكل خاص أن تعبر الإنسانية الفجوة التي كانت تفصل بينها وبين الله. اتحد الناسوت وهو العنصر المشترك بين البشر باللاهوت أي أقنوم الابن، فماذا حدث بعد الاتحاد؟ أعطى الابن من صفاته اللاهوتية ما يمكن أن يقبله الناسوت مثل البنوة للآب، والحياة الأبدية، وعدم الفساد وكل هذه الصفات ليست من صفات الإنسان، ولا هي ممكنة بأي وجه من الوجوه، لأن الإنسان ليس ابناً لله بالطبيعة، ولا هو قادر بذاته على أن يتخطى الفساد والموت إلى حياة عدم الموت، وهي إحدى صفات الله، وهكذا ترى إن الله عندما أعطى لم يكن العطاء وعداً بما سيتم في المستقبل، وإنما تم العطاء بشكل ظاهر في المسيح يسوع ربنا، ففيه اتحد اللاهوت بالناسوت لكي نقبل نحن اتحادنا بالآب، وفيه قام الناسوت من الموت، وصعد إلى السماء، وما مناسبة هذا العيد وهو انتقال والدة الإله وصعودها إلاَّ شرحاً لما فعله المسيح لأجلنا وما حققه، ونحن اليوم في القداس احتفلنا بما نالته العذراء من عطية عدم الفساد وهي عطية غير ممكنة بدون عبور الله إلينا بالتجسد.

إبراهيم: هذا واضحٌ جداً. ولكن، ألا يكفي أن تكون لنا علاقة بالابن؟ لقد جاء إلينا وعَبَر الفجوةَ كما تقول، فما هو دور الآب والروح القدس؟

جرجس: إن سؤالك يمكن ترجمته بهذا الشكل: ما هو دور الثالوث كله في عبور الفجوة التي تفصل بيننا وبين الله؟ إذا اقتنعت بمجيء الابن، فعلينا أن ندرك أن كلمة «الابن» جوفاء بلا معنى بدون «الآب» .. الإيمان بالابن يستدعي الإيمان بالآب، أي أن قبول أقنوم يعني قبول كل الأقانيم.

إبراهيم: هذا منطقي وسليم .. الكلام عن الآب يقتضي الكلام عن الابن والعكس .. ولكن ماذا عن الروح القدس؟

جرجس: إن الروح القدس، يبقى الأقنوم الوحيد الذي لا يعلن عن ذاته إلاَّ من

خلال الآب والابن، فهو يعلن لنا الابن لكي يعلنه الابن كقوة الله الآب وروحه القدوس، ولكن يبقى هو كأقنوم غير معلَن، فهو الحياة السرية التي لا تُفحص والتي لا يمكن للفكر البشري أن يصل إليها. وقد عقد الرسول بولس مقارنة بين الإنسان والله وقرر أن الإنسان يعرف نفسه، ولا يمكن لأي إنسان آخر أن يتطلع على أسراره، وعبارته المشهورة ''لا يعرف الإنسان إلاَّ روح الإنسان». ثم انتقل بعد ذلك إلى موضوع الروح القدس، وكما قال في حالة الإنسان، هكذا في حالة الله، لا يعرف الله إلا روحه وقال عبارته المشهورة ''هكذا أمور الله لا يعرفها إلاَّ روح الله''، ومن هذا ندرك أننا وإن كنا نعرف الآب كآب سماوي، والابن كفادٍ ومخلِّص، إلاَّ أننا نعرف الروح القدس في إطار ما يعلنه لنا عن الابن والآب، ويظل أقنوم الروح القدس محتجب، لا يعلن عن ذاته، إلاَّ في إطار العطايا الروحية، التي يعطيها للكنيسة. وبذلك يظل الروح القدس بعيداً عن إدراك الإنسان. لقد جاء الروح القدس بشكل ألسنة نارية، وظهر مرة بشكل حمامة، ولكنه ظل محتجباً غير معلَن إلاَّ في إطار عمله كمن ينقل كل ما يريد أن يعطينا إياه الآب والابن ... ولذلك يظل فوق الإدراك لئلا يُظن أنه أحد المخلوقات، ولكن بالأكثر لكي ندرك أن إعلان الثالوث ليس اكتشافاً لكل ما في ذات الله إذ يظل هناك جانباً جوهرياً سرياً لا يمكن إدراكه، وهو أقنوم الروح القدس.

إبراهيم: ألا يقتضي المنطق وقد أعلن الآب والابن عن علاقتهما بنا، أن يعلن الروح القدس شيئاً عن هذه العلاقة؟

جرجس: إذا كنت تعني علاقة الروح القدس بنا فالأمر واضح. إن كل إعلانات الله يحملها لنا الروح القدس، فهو الذي يقنع قلب الإنسان بقبول المسيح .. وقد قال الرسول بولس ''لا يستطيع أحدٌ أن يقول إن المسيح هو الرب إلاَّ بالروح القدس'' والروح هو الذي يعمل في المعمودية والميرون

وهو الذي يعطينا جسد ودم المسيح في الإفخارستيا وهو الذي ....

إبراهيم: أنت تتحدث عن ما يعطيه الروح القدس من الآب والابن، ولكن ماذا عن الروح القدس نفسه؟

جرجس: هو يسكن فينا، وكما قال المسيح له المجد ''وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه''. وكما نرى أن العالم لا يستطيع أن يقبل روح الحق، لأنه غير منظور، لا يعلن عن نفسه بأي شكل من الأشكال المعروفة، يظل الجانب السري لله يتحدى العقل، وهو يعطي لنا من قداسته.

إبراهيم: ولكنك قلت إن الروح القدس يسكن فينا، وقد أكد الرسول هذه الحقيقة ''أنتم هياكل الله وروح الله ساكن فيكم''، فلماذا لا يعلن لنا الروح القدس عن حقيقة سكناه فينا؟

جرجس: الروح القدس لا يعلن عن شكل أو صورة سكناه فينا، وهذه نقطة هامة جداً ولها علاقة مباشرة بالتجسد. ففي التجسد تم اتحاد حقيقي بين اللاهوت والناسوت في المسيح، وهو ما جعل يوحنا الرسول يقول ''الذي سمعناه، الذي رأيناه، الذي لمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة''. وكما نرى، فقد حمل التجسد إلى حواس الإنسان من سمع ورؤية ولمس ما كان مستحيلاً قبل التجسد. لقد أصبح يرى ويسمع الله وهو يتحدث إليه عن محبته. وقد كان من الضروري أن تحاط هذه العطية الفائقة بما يضمن استخدامها بشكل صحيح، ولذلك احتجب ظهور الروح القدس، بل الآب أيضاً، وعندما سأل أحد التلاميذ عن رؤية الآب كان جواب المسيح عليه ''الذي رآني قد رأى الآب''، بمعنى أنه يكفي أن ترى الابن لكي تُدرك الآب الذي لا يختلف عنه، ولكن كما هو واضح أن هذا التصريح يؤكد بشكل مباشر أننا لا نستطيع أن نرى الآب، بل نراه في الابن.

إبراهيم: إذاً نحن نرى الآب في الابن ... وكيف نرى الروح القدس؟

جرجس: نراه في الابن أيضاً .. ولكن عليك أن تدرك أن كلمة «الآب» وكلمة «الابن» مأخوذة من كلام البشر من واقع الحياة الإنسانية .. أمَّا الروح القدس فهو الاسم الذي لا ينتمي إلى لغة البشر، بل هو فوق كل الأسماء، ولذلك وبسبب التجسد، أعلن الروح القدس الآب والابن، أمَّا هو، فقد ظل غير ظاهرٍ، وهكذا ترى أن الثالوث وإن كان يتضمن أقنومين كلاهما يحمل اسماً يمكن إدراك معناه من واقع الحياة البشرية، إلاَّ أن الأقنوم الثالث يحمل اسماً لا يمكن إدراكه من أي صورة أو شكل أو تشبيه أو لغة بشرية .. اسمه الروح القدس .. وهذا يحدد لنا لماذا هو مخفي، فهو يعبر عن الجانب المخفي في الله. ولكن هذا الجانب المخفي في الله ظهر في الابن، وكان ظهوره مستتراً أيضاً. فقد ظهر بشكل حمامة في الأردن، ثم بشكل سحابة منيرة في التجلي، وألسنة نارية في يوم الخمسين، وكل ظهور من هذه الظهورات إنما يعبِّر عن طبيعة عمل الروح القدس وليس عن الروح القدس نفسه. فهو السلام الذي رمزت له الحمامة، وهو الاستنارة التي رمزت له السحابة المنيرة، وهو التطهير والتقديس الذي رمزت له الألسنة النارية، ولكننا لا نستطيع أن ندرك طبيعة الروح القدس نفسه، فهو فوق الفحص.

إبراهيم: لماذا تحدد بهذا الشكل القاطع إن الروح القدس فوق الإدراك.

جرجس: الروح القدس فوق الإدراك لأنه روح الله الذي هو فوق الإدراك، وإن كان الله قد دخل حياتنا عن طريق اسمين يعرفهما كل إنسان أي الآب والابن، إلاَّ أنه ظل بعيداً عن حياتنا في نفس الوقت عن طريق ذلك الاسم الذي يفوق الإدراك أي الروح القدس. وهذه هي طبيعة علاقتنا بالله، فهو يظل قريباً منا ولكن في نفس الوقت بعيداً تماماً عن إدراكنا، ومع أنه يمكن أن نتصور الآب والابن، لكن نظل غير قادرين

عن تصور الروح القدس، ذلك أن اسمه يحمل لنا نوعاً من التحذير ونهياً عن تصوره.

إبراهيم: لكن ماذا يعني الكتاب المقدس بقوله عن الروح القدس إنه ''روح التبني''؟ ألا يحمل هذا نوعاً من التشبيه؟

جرجس: بكل تأكيد لا ... روح التبني، أو روح البنوة أو روح الابن، أو روح المسيح، هو تأكيد على أن البنوة ليست من عمل قوانين الطبيعة، ولعل أدق تعبير عنها، هو كلمات الرسول يوحنا عن التبني في افتتاحية الإنجيل «أمَّا كل الذين قبلوه، أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله الذين يؤمنون باسمه، الذين ولدوا ليس من دم، ولا من مشيئة رجل، ولا من مشيئة جسد بل من الله'' أي أن الولادة روحية ولا تتم بمقتضى ناموس التوالد الطبيعي، لأنها ولادة لا تتم بشكل آلي، بل تتم بالإيمان.

إبراهيم: لقد ابتعدنا عن موضوع الاقانيم والمحبة، وأكاد أرى انك تريد أن تقول إن المحبة هي سبب وجود الأقانيم، وبذلك تخلق السبب الفلسفي المباشر لعقيدة الثالوث.

جرجس: بكل تأكيد لا .. المحبة ليست هي سبب وجود الأقانيم الثلاثة، وإنما الأقانيم هي سبب المحبة، ذلك أن الادعاء بأن المحبة تقتضي وجود أقانيم الثالوث، هو في النهاية يعني أمراً واحداً وهو أن الأقانيم من اختراع العقل البشري .. إنما الحقيقة هي عكس ذلك، فالأقانيم، هي سبب وأصل الإعلان عن محبة الله وبدون الأقانيم، لا نصل إلى معرفة الله. ولا تنسى ما ذكرته لك من البداية ''هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد''. وكما ترى أن أقنومي الآب والابن أعلنا عن محبة الله للخليقة. فنحن في الواقع نبدأ من الثالوث، لنصل إلى المحبة التي أعلنها الثالوث. ولا يمكن أن ندرك هذه المحبة ما لم يتوفر لنا إدراك الآب والابن والروح القدس. ولكي نعود إلى نقطة البدء في حديثي

معك أرجو أن تتذكر أن الله عبَر الهوة التي تفصل بينه وبين الإنسان بالتجسد، وإن الإنسان – مهما كانت قدراته – يعجز عن الوصول إلى الله، بل على الله أن يصل إليه. وقد اتفقنا أيضاً على أن وصول الله إلى الإنسان من أجلِ المشاركة وعطاء الذات لكي يملك الإنسان من اشتراكه في الله ما يمكّنه من البقاء في علاقة أبدية مع الله. والآن علينا أن نتقدم خطوة إلى الأمام لكي نشرح كيف يعلن الله عن إمكانية عطائه للإنسان عن طريق الأقانيم.

إبراهيم: إن ما يحيرني حقاً هو أننا نقول إن هذا الأقنوم أعطى شيئاً، وإن ذلك الأقنوم أعطى شيئاً آخر .. فما هو رأيك في السبب في ذلك، هل هي محاولة خلق رابطة ليست موجودة؟

جرجس: أشكرك لأنك أتحت لي فرصة الكلام عن هذه النقطة. إن الأقانيم هي أقانيم الجوهر الإلهي الواحد ولذلك طالما أن لها طبيعة إلهية واحدة فمن الخطأ الشديد أن نتصور أن أي أقنوم يقوم بعمل مستقلاً عن باقي الأقانيم. ولقد وضع الآباء قاعدة ذلك في عبارة واحدة وهي: **إن كل ما يقوم به الثالوث إنما يقوم به الآب بالابن في الروح القدس: فالآب يعطينا أن نكون أبناء له وهذا يتحقق عن طريق الابن وفي الروح القدس،** ونحن هنا لا نبحث عن رابطة أو نخلق رابطة لأن الطبيعة الإلهية الواحدة هي خير رابطة رغم أن كلمة رابطة غريبة تماماً عن موضوع الثالوث.

إبراهيم: إنني متحير، لماذا لا أكون أنا ابناً لله عن طريق الآب فقط، لماذا يشترك الابن؟ وما هو دور الروح القدس؟

جرجس: لو كان الله آباً فقط لما تمكنت من أن تكون له ابناً مهما كانت قدراتك.

إبراهيم: لماذا؟

جرجس: لأن البنوة يجب أن تأتي من الله مباشرة ولكي تكون ابناً لله، فهذا ليس

مستطاع لأي مخلوق، فلا توجد طبيعة مخلوقة أو قانون أو .. الخ يمكنه أن يعطيك شيئاً يخص الله أو يجعلك قريباً من الله، ولا حتى الوحي نفسه ولا كل ما قاله الأنبياء مجتمعين. قد يمنحك الوحي استنارةً، وقد يصحح بعض أخطائك، ويقدم لك معرفةً عن الله، ولكن اشتراكك في الله هو موضوعٌ آخر لا تجدي معه كل ما تعلنه كل ديانات العالم القديمة والحديثة.

إبراهيم: لقد أفزعتني يا أخي !!! إنك تشطب على كل شيء، لماذا هذا التعسف؟

جرجس: أنا سعيد جداً بفزعك لأنك بدأت تدرك الآن ما هو الموضوع الأساسي في المسيحية، وهو مجيء الله إلينا لكي يجعلنا أبناءاً له، وهل تعرف ماذا تعني كلمة ابن الله؟ أنها تعني انك تنال من الله مباشرة ومنه هو لا من آخر شرف البنوة .. إنه ليس شرف البنوة .. إنه ليس شرف الانتساب لله، أو شرف الانتماء إليه، كل هذه الكلمات ليست صحيحة، ولذلك عندما شرح يوحنا الرسول ولادتنا من الله شطب على كل ما نعرفه نحن من قدرات وإمكانيات بشرية، وقال ''الذين ولدوا من الله'' وحرف الجر «من'' يحدد مصدر ولادتنا فلا تستهن بما تعلم به المسيحية.

إبراهيم: هل أفهم من كلامك هذا أننا كأبناء لله، نتجاوز ما هو مخلوق؟ هل تعني أننا لا نعود من رتبة المخلوقات في حالة التبني؟

جرجس: نحن في ذواتنا مخلوقات وسنظل بشراً، لا يمكن أن نفقد طبيعتنا البشرية المخلوقة، لأن هذا مستحيل تماماً، ولكن المخلوق يمكنه أن يأخذ ما ليس مخلوقاً أي التبني. لأن بنوتنا لله بالإيمان بالمسيح يسوع تجعلنا نشترك في الابن أي البنوة وهذا ليس شيئاً مخلوقاً أو ينتمي إلى طبيعة هذا الكون، بل الله نفسه. وهذا ما كنت أقصده بأننا صرنا أبناء الله، وهذه البنوة كانت عطاء الذات الذي قدمه لنا الآب في الابن بالروح القدس.

إبراهيم: اعترف بك بأنني لم اسمع مثل هذه الكلمات الجريئة من قبل .. ولكنني أرجو أن تتوقف عند هذه العبارة "قدمه لنا الآب في الابن بالروح القدس" لأنك كما ذكرت أنها من تعاليم الآباء القديسين فما هو معناها؟

جرجس: إنني لا أعرف ماذا كنت تسمع، أو ماذا قيل لك عن بنوتك لله، أو ماذا تختبر أنت؟ ذلك أن موضوع التبني ليس موضوعاً يمكن أن يستخف به الإنسان. ولذلك **الذين يتحدثون عن التبني عليهم أن يدركوا أنهم يتحدثون عن نعمة غير مخلوقة. إننا نأتي إلى الله في حالة الفساد والموت والعبودية، لا نملك شيئاً يؤهلنا للبنوة، ولكن الآب السماوي يعطينا أن نكون أبناء له، أي يقبلنا في شركته، يصبح هو الآب بالنسبة لنا ونصبح نحن أبناؤه في يسوع المسيح ابنه، ويضع الآب ختمه السماوي بالروح القدس** .. هذه العلاقة، روحية لا شيء فيها محسوس أو منظور، تدركها النفوس، وتراها العين في طقس التبني.

إبراهيم: ما هو طقس التبني؟

جرجس: هو طقس المعمودية والميرون. عندما يعتمد الإنسان يدعوه الآب إليه بالروح القدس، ويكشف له الروح القدس عن رغبة الآب في أن يتبناه، ثم يقدِّم له الروح القدس الابن المتجسد، ويخبره الروح القدس، كيف جاء الابن وتجسد وصلب ومات وقام. وكيف تحوَّل الجسد البشري الذي لبسه الابن إلى جسد لا يسود عليه الموت، بل إلى جسدٍ يشع بالحياة، ويعلن له الروح القدس أنه ما لم يقبل الاتحاد بالمسيح في موته وقيامته لن ينال البنوة، بل يظل عبداً بعيداً عن أي إمكانية للمشاركة في خيرات الآب. ومتى اقتنع الإنسان بهذه العطية السامية يقبل الاتحاد بالمسيح، وهنا تبدأ طقوس التبني عندما يجحد الشيطان، وكل حيله وأكاذيبه وكل شروره ويعترف بأنه لا وسيلة للتبني إلاَّ بالمسيح ابن الله.

ويترل إلى مياه المعمودية مع الابن الذي يضمه إليه ويجعل الحياة الجديدة التي أُعلنت فيه تنتقل إليه في ماء المعمودية، فالقوة التي في الابن والتغيير الذي حدث في المسيح ينتقل إلى الإنسان في مياه المعمودية فيصير حياً عديم الفساد، لا يفترق عن الله، وهنا بعد أن يتحول من الموت إلى الحياة وينال العفو والصفح عن كل خطاياه يأتي الروح القدس نفسه، ويسكن في هذا الإنسان وتكون سكنى الروح هي الشهادة أو ختم الآب بالتبني .. هنا يعطيه الآب روحه أي الروح القدس .. وكما ترى أن كل أقنوم له عمل خاص به، ولكنه لا يعمل مستقلاً عن الأقنومين الآخرين.

إبراهيم: لماذا يؤهلنا الروح القدس وليس الآب أو الابن؟

جرجس: لا فرق، ولكن الروح القدس هو الذي تخصص في اجتذاب الناس للمسيح لأن خطة الخلاص كانت تقتضي ذلك، فبعد أن أعلن الآب عن نفسه لا سيما في العهد القديم، ثم جاء الابن وتجسد وصُلب وقام، أعطى للإنسانية أن تقبل حلول الله فيها واشتراكها في الثالوث .. بعد أن أكمل الابن اختزان كل هذه البركات، جاء الروح القدس ليأخذ من النعم التي حققها الابن، ولكنه في البداية يهيئ القلب لكي يقبل ويقتنع، وبعد أن يقتنع الإنسان يفتح له الروح القدس كل كنوز المسيح. وأول هذه الكنوز هو التبني. ولكن كما ترى، إذا كان الروح القدس ينقل إلينا البنوة وبالذات بنوة الابن، فهو لا يأخذ من غريب أو يعمل مستقلاً عن الابن، بل يشترك مع الابن والآب .. **التبني يكشف لنا عن وحدة عمل الثالوث القدوس، فما يبدأ به الروح القدس، إنما ينتهي إلى وصول الإنسان لكي يقول للآب "أبا"** ABBA.

إبراهيم: لقد أدركت تماماً وحدة عمل الثالوث وكما ذكرت أنها وحدة قائمة على وحدة الطبيعة الإلهية، وعلى أن كل أقنوم يعطي مما لدى الأقنوم

الآخر، لكنني أعترف لك بالحيرة، لماذا التعدد ..؟ لماذا آب وابن وروح قدس؟ لماذا يجب أن يتم التبني في الابن وبالروح القدس؟

جرجس: يبدو انك لم تستوعب بعد ما قلته لك .. إن وجود أقنوم واحد في الله لا يحقق أبوة الله للإنسان ولا بنوة الإنسان له .. إن التبني قائم على ما هو كائن في الذات الإلهية من أقانيم.

إبراهيم: هذا واضح، وبذلك يمكنني الاقتناع بأقنومين فقط ..

جرجس: هذا في حد ذاته تقدُّم. أن تقتنع بالآب والابن، ولكن عدم اقتناعك بالروح القدس يعرضك لفقدان الإيمان بمصدر كل هذه العطايا، أي ينبوع الحياة الرب المحيي. ذلك أن الله قريب وبعيد في نفس الوقت. ولكي أشرح هذه النقطة، أريد أن أعود مرة ثانية لموضوع المحبة .. لقد أحبنا الله وكما قال الرسول يوحنا ''نحن نحبه لأنه أحبنا أولاً» فهو الذي بدأ بالمحبة وليس نحن، والمحبةُ قربٌ شديد وإعلانٌ أو مكاشفة، ولكن مع ذلك يظل إدراك المحبوب عسيراً وفوق طاقة الإنسان. في لحظات معينة نشعر بأن الله قريب جداً فهو الآب السماوي الذي أعطانا البنوة في الابن، ولكننا بالروح القدس نكتشف أن الله فوق الإدراك وأن أبوة الله لنا وبنوتنا نحن لا يجب أن تختلط بما استقر في داخلنا من مشاعر وخبرات وصور لا سيما تلك التي أخذناها من واقع الحياة الحسية .. هنا يصبح نقل أبوة الآب وبنوة الابن بالروح القدس عملاً هاماً جداً، لأنه يكتسب الصفة الروحية المقدسة التي هي خاصية الروح القدس. ولذلك **إعلان الآب والابن لنا بالروح القدس يؤكد لنا بشكل خاص أن الآب والابن كلاهما روح قدس**، وإن طبيعتهما لا تختلف عن طبيعة الروح القدس.

إبراهيم: لكن إذا كان الآب والابن كلاهما روح قدس .. فلماذا نحتاج للروح القدس أي الأقنوم الثالث .. ألا يكفي أن يعلن الله لنا أن أبوته روحية

وأن بنوتنا له هي روحية، ونحن طبعاً قد نخطئ في فهم الأبوة والبنوة، إلاَّ أننا في النهاية سنكتشف أنها روحية .. فما الداعي إذن للروح القدس؟

جرجس: حسناً لقد تقدَّمنا كثيراً .. من الواضح الآن أن الروح القدس لا يحمل اسماً يختلط بخبرة أو بما نعرفه من واقع تجارب وخبرات حسية، وأن هذا الاسم ''الروح القدس» هو أصلاً صفة للآب والابن، فالآب هو روحٌ، وهو قُدسٌ أيضاً، وقُدس تعني قدوس، وإن كانت عادتنا قد جرت على تفضيل استخدام قُدس بدلاً من قدوس، ولكن من الواضح أن الآب والابن كلاهما يحمل صفة هي أصلاً اسم الأقنوم الثالث أي الروح القدس. **هذا يعود بنا إلى إعلان المحبة .. المحبة هي بين اثنين، ولكن في كمالها هي بين ثلاثة. وهذا يظهر بدراسة العلاقة بين الأقانيم. فالآب يحب الابن والآب لا يعلن عن ذاته لنا، بل يترك هذا للابن. والابن لا يعلن ذاته، بل يترك هذا للآب، فهو صورة الآب، الذي فيه نرى الآب بقوله "من رآني فقد رأى الآب" .. والروح القدس هو الذي يعلن الابن. كل أقنوم يترك الأقنوم الآخر لكي يعلنه ويقدمه للخليقة. ولذلك الثنائية لا تحقق العطاء الكامل بل الثالوثية. هذا العطاء الذي يمارسه الآب والابن يتم في اقنوم الروح القدس فهو علاقة بين الآب الذي يعطي ذاته والابن الذي يعطي ذاته وكلاهما يعطي ذاته في طرف ثالث هو الروح القدس.**

إبراهيم: عطاء الذات يمكن أن يكون كاملاً بين اثنين .. فإذا أعطى الآب ذاته أو صورته للابن ثم أعطى الابن ذاته للآب .. ألا ترى بهذا أننا نصل إلى كمال العطاء، فلماذا يتم هذا العطاء عن طريق ثالث هو الروح القدس كما تقول؟

جرجس: هذا رائع جداً .. إن العطاء الثنائي هو بلا شك عطاءٌ لا يمكن أن ننكره. ولكن عندما يتم هذا العطاء عن طريق ثالث فهو الكمال ولكي ندرك هذا، علينا أن نراجع الإعلان الكامل في الكتاب المقدس ..

الروح القدس هو روح الآب الذي من عند الآب ينبثق، فهو متمايز عن الآب أي أنه ليس الآب، ولكنه العطاء المتبادل بين الآب والابن. وعندما يعطي الآب ذاته للابن في الروح القدس، فهو عطاء من واحد للاثنين، وهذا يجعل العطاء مطلق .. وكذلك عندما يولد الابن من الآب، فهو يحمل كل صفات الآب وقدراته ويعطي ذاته للآب في الروح القدس، أي عطاء الابن للآب والروح. وعندما ينبثق الروح القدس من الآب، فهو يستقر في الابن، ويعطي ذاته للابن وللآب، ولذلك العطاء دائماً من أقنوم إلى أقنومين. من الآب والروح، أو من الابن للآب والروح، أو من الروح للآب والابن. وهذا يجعل العطاء كاملاً ومطلق، فهو لا يعطي ذاته لواحد دون الآخر، بل يعطي ذاته لأثنين معاً. وهذا يجعل صورة المحبة ليست ثنائية بين اثنين. بل ثلاثية بين ثلاثة، وهذا هو المثال المطلق الذي ينزه المحبة عن الأنانية ويجعلها عطاءً لا يتوقف.

إبراهيم: لقد جعلت هذا الموضوع صعباً وفوق الطاقة تماماً.

جرجس: يمكننا أن نتصور ما قلناه على هذا النحو: عندما تعلن المحبة عن نفسها، فإن طبيعة الإعلان نفسها تحدد شكل وممارسة المحبة. وكمثال على هذا – ومن واقع الحياة الإنسانية – إن من يحدد محبته لزوجته على أنها محبة سيد لعبد، فإن مجرد استخدام كلمة سيد، وعبد ومجرد استخدام هذه الصورة يحدد الطريقة والشكل الذي يعبِّر به السيد أي الزوج عن محبته لزوجته العبدة.

إبراهيم: هل تعني مثلاً أن الزوج في هذه الحالة سوف يعتبر زوجته مجرد شخص يتلقى المنة والإحسان. وسوف يخاطبها بشكل يتفق مع ما في عقله.

جرجس: هذا هو ما أعنيه بالضبط. إن المحبة مستويات، ولكل مستوى صورةً وشكلاً، يعبِّر عن هذا المستوى ويحدد ممارسة المحبة.

إبراهيم: هذا مقنع تماماً .. لكن ما علاقة هذا بالثالوث؟

جرجس: الثالوث يعلن محبته لنا كمثال للمحبة الكاملة، فالآب والابن والروح القدس واحد في الطبيعة الإلهية. إذاً الوحدة هي الأصل أو هي الأساس، ثم لا يعلن الآب عن نفسه، بل يتخلى عن هذا تماماً للابن، ثم لا يعلن الابن عن نفسه، بل يتخلى عن هذا للروح، ولا يعلن الروح عن نفسه، لكن يتخلى عن هذا للابن .. إذاً كل أقنوم يترك الإعلان عن نفسه لآخر، أولاً لأن هذا الآخر مثله تماماً في كل الصفات الإلهية، وثانياً لأن هذا الآخر معه في ذات الطبيعة الإلهية الواحدة .. وبذلك يحدد لنا هذا السلوك الأقنومي صورة وشكل المحبة الكاملة وبالتالي ممارستها.

إبراهيم: إنني اشعر أحياناً بالفهم ولكن أعذر جهلي .. كيف يحدد تخلي كل أقنوم عن الإعلان عن نفسه للآخر صورة وشكل المحبة؟

جرجس: التخلي عن الذات هو عطاء الذات تماماً، وبالتالي إذا كانت هذه هي صورة المحبة، فالآب يحب الابن أي يعطي له ذاته بشكل مطلق وكامل، وبالتالي عندما يمارس الآب محبته لنا فهو يعطينا الابن بشكل مطلق وكامل، وبالتالي عندما يمارس الابن محبته لنا فهو يعطينا الآب بشكل مطلق وكامل أيضاً. ولذلك يقول يوحنا ''بذل ابنه''، هذا البذل لا يكون بذلاً إذا تم بالسيادة أو القهر. **أنت لا تبذل ما لا تملك، لكن لأن الآب يملك الابن، والابن يملك الآب، وعندما قدم الآب، قدم أفضل ما لديه** .. هنا أقف عن الكلام لا أجد ما يعبر عن ذلك .. **بذل ذاته = بذل ابنه** .. وعلينا أن نتمعن في هذه العبارة «ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب فهو يشهد لي''. فالابن يرسل لنا الروح القدس من عند الآب وكما حدد هو أنه روح الآب الذي ينبثق من عند الآب، فالآب إذاً يرسله لنا بالابن أو الابن يرسله لنا من الآب .. علينا أن ندرك إذن أنه إذا كان الآب قد بذل ابنه، فالابن قدم روح الآب لنا. أمَّا الروح، فقدم ذاته

دون أن يكون بعيداً أو غريباً أو منفصلاً .. هذا هو السلوك الأقنومي في الثالوث. وهو سلوك المحبة الكاملة، لا خوف ولا تردد، بل العطاء الكامل. ثم هذا العطاء الكامل صار صورة المحبة، وصار سلوك المحبة الكامل معنا نحن البشر.

إبراهيم: هل أفهم من هذا أن معاملة الله لنا قائمة أصلاً على العلاقة بين الأقانيم؟

جرجس: بكل تأكيد أن العلاقة بين الأقانيم تعلن لنا حقيقة محبة الله ذلك كل أقنوم هو الله ...

إبراهيم: كل أقنوم هو الله .. !!!؟

جرجس: لا تنسى أن كل أقنوم هو الله، لأنه من ذات الطبيعة الإلهية، فهو ليس مستقلاً عن الأقنومين الآخرين. هو الله بالأقنومين الآخرين، فإذا تذكرت هذا وجدت أن كل أقنوم عندما يتخلى عن ذاته، فهو يُبقي على شكل الوحدانية، ذلك أن الوحدانية تقوم على إخفاء الذات، بمعنى أن الآب لا يعلن عن نفسه بشكل مستقل، بل يترك هذا للابن. والابن لا يعلن عن ذاته بشكل مستقل، بل يترك هذا للروح القدس. فإذا عرفت الروح عرفت الابن والآب، وإذا عرفت الابن عرفت الروح والآب. وإذا عرفت الآب عرفت الابن والروح؛ لأن كل أقنوم عندما يترك لأقنوم آخر وسيلة وطريقة إعلانه، إنما يعبر بذلك عن وحدة الجوهر.

لقد تحدثنا عن الثالوث على قدر ما تسمح به الألفاظ البشرية واستخدمنا عدة ألفاظ جديدة من أجل إيضاح هذا الحق، وعلى القارئ أن يغفر عدم الدقة وأن يصلح ما يراه مناسباً.

وللثالوث الأقدس
الآب
والابن
والروح القدس
المجد الدائم

الحوار الرابع

قابلت إبراهيم ذات يوم بعد القداس وكان على وجهه علامات الانشغال وسألته عن أحواله، فقال لي بصوت يشبه الهمس: هل رأيت هذا الكتاب؟ وأخرج كتاباً متوسط الحجم من حقيبته التي كانت بيده، ثم أضاف، إنه يتحدث عن موضوع واحد، وهو علاقة المسيحية بالديانة الفرعونية وبالذات عقيدة الثالوث .. ولم أتمالك نفسي لأنني ضحكت بصوت عال فقال لي إبراهيم: لماذا تضحك؟

جرجس: لعدة أسباب:

أولاً: هذا الاتهام ليس جديداً.

ثانياً: إن انحدار الفكر الديني في مصر ظاهرة خطيرة لا يملك الإنسان تجاهها إمَّا أن يضحك ليسرِّي عن نفسه، وإمَّا أن يبكي. كيف "يستغفل" المؤلفون الناس ويربحون المال عن طريق ترويج بضاعة رديئة جداً، يُقبل عليها الناس بشراهة بسبب الفراغ السياسي والثقافي .. فلا يجد القارئ سوى هذه الكتب الرخيصة بكل ما فيها .. سؤال هام يا إبراهيم: هل تتوقف صحة الديانة المسيحية على إثبات أن الديانات الأخرى خطأ؟ .. وهل تتوقف صحة الديانات الأخرى على إثبات أن المسيحية خطأ؟

إبراهيم: طبعاً لا.

جرجس: إن تقديم الاتهامات سهل، وما أخاف منه الآن هو أن كل ما لا يروق لنا نصفه بالوثنية. على سبيل المثال لا الحصر: اللغة العربية، استخدمها الوثنيون، فهل يعني هذا أننا يجب أن نتركها؟ ومثال آخر: إن بناء دور العبادة أي المعابد عرف في الوثنية، فهل يعني هذا ألا نبني دور للعبادة؟

ومثال ثالث: إن طريقة الزراعة في مصر لم تتغير منذ عهد اوزيريس، فهل معنى هذا أن نبطل الزراعة؟

إبراهيم: ولكن الأمر مختلف تماماً، إن الكلام هنا عن العقيدة نفسها. قد تكون اللغة من أصل وثني أو الزراعة أو .. الخ ولكن العقيدة الدينية هي لُب الموضوع.

جرجس: أنا مندهش من طريقة تفكيرك .. الحياة الوثنية بكل ما فيها لا تعنيك .. وكل ما يعنيك هو العقيدة الدينية، هذه أغرب قضية سمعتها في حياتي. هل تعني أن الحياة يمكن أن تظل كما هي دون تغيُّر وتتغير العقيدة الدينية فقط؟

إبراهيم: جائز.

جرجس: إذا جاز ما تقول .. إذاً نحن أمام عقيدة دينية لا علاقة لها بالواقع ولا تملك القدرة على التأثير على واقع حياة الإنسان، وبالتالي مصير هذه العقيدة، الفناء أو التغير، وأرجوك أن تفكر في هذه النقطة بالذات بكل دقة.

إبراهيم: إن أهم ما أحرص عليه في هذه اللحظة هو أن أعرف هل الثالوث مستعار من الديانة المصرية القديمة؟

جرجس: آسف يا صديقي. إن العقلاء لا يسألون هذا السؤال. ماذا تعني بالديانة المصرية القديمة؟ هل تقصد الديانة المصرية كما عرفناها في بدايتها، أم في عصر الدولة الوسطى، أم في بداية العصر الروماني اليوناني؟ ثم هل الديانة المصرية في بقعة من أرض مصر في ممفيس، أم في عين شمس، أم .. الخ فكل هذه الأسماء تعني آلهة مختلفة تختلف باختلاف العصر والمكان.

إبراهيم: لا .. أنا أعني قصة أوزيريس وايزيس وحورس، فالمؤلف يقول إن أوزيريس هو الآب وحورس هو الابن وايزيس الأم أو الروح القدس.

جرجس: أنا أعرف هذا الاتهام جيداً. ولو بحثت عن شيء مكتوب يؤكد هذا التفسير ما وجدته إلاَّ في اللغة العربية فقط حيث يستسلم المؤلفون عندنا إلى نزوات الفكر وشطحات الخيال دون الالتزام بالتاريخ. هل تعني يا إبراهيم أن وجودنا نحن معاً على باب هذه الكنيسة وبحضور شخص ثالث هو اقتباس لعقيدة الثالوث.

إبراهيم: لست افهم.

جرجس: أعني إن مجرد وجود ثلاثة معاً في أي مكان من العالم، ووجود علاقة بين هؤلاء الثلاثة، لا يعني ذلك وجود علاقة لهؤلاء الثلاثة بالثالوث في المسيحية. وكل ما أريد أن أقوله هو: إن وجود ثلاثة آلهة معاً لا يعني أن هؤلاء الثلاثة هم أصل الثالوث في المسيحية، فذلك اعتماد مطلق على الخيال وحده ونسيان كامل للتاريخ، وبالتالي تسقط القيمة العلمية لهذا الإدعاء.

إبراهيم: وماذا عن أوزيريس؟

جرجس: إذا كان أوزيريس هو الآب، وحورس هو الابن، وايزيس هي الروح القدس، فماذا تفعل بآمون، وأين تضع رع وباقي الآلهة الإقليمية الأخرى؟ في الأقصر مثلاً كان آمون أهم من غيره، وفي ممفيس مثلاً كان رع أهم من غيره، وفي الإسكندرية كان سيرابيس أقوى الآلهة حتى زمن القديس كيرلس السكندري .. ونحن لا نعرف أي ثالوث من أي نوع في الديانة المصرية القديمة، ولذلك كما ذكرت لك أن هذا الاتهام لا تعرفه إلاَّ الكتب العربية فقط .. وهذا التهريج الرخيص هو تجارة باسم الديانات المقارنة.

إبراهيم: هل أفهم من كلامك انك لا تعتقد بوجود أي علاقة بين هؤلاء الآلهة الثلاثة وثالوث المسيحية؟

جرجس: طبعاً لا توجد أي علاقة، لا يكفي مطلقاً أن نرى التشابه بين مبدأين،

بل يجب علينا أن ندرس الاختلافات أيضاً، وكل مؤلف يتحدث عن التشابه وينسى الاختلافات أو يتعمد اختفاء اختلافاتهما، هو غير جدير بأن يمسك قلماً في يده. إن التشابه قد يكون قوياً جداً لدرجة أن الاختلافات تصبح بلا قيمة، أو العكس، قد تكون الاختلافات قوية إلى حد يصبح التشابه مجرد ظل لا معنى له .. إنني أذكر أنني كنت ألقي محاضرة من عدة سنوات، فقلت إن قصة أوزيريس لا يمكن فهمها إلاَّ بالكلام عن طرف رابع، هو ''ست'' الذي صار بعد ذلك إلهاً للشر. فسألني أحد الطلبة عن علاقة ست بالشيطان في الديانات السماوية. وكان عليَّ أن الغي الموضوع الذي كنت أحاضر فيه لكي أشرح كيف يجب أن ندرس الديانات المقارنة .. إن كل فكرة تعبُر في عقولنا تحتاج إلى دراسة وبحث لعلها مجرد شطحة ولعلها بعيدة تماماً عن التاريخ.

إبراهيم: أرجو أن أسمع ولو موجز عن طريقة دراستنا للديانات المقارنة.

جرجس: أولاً: يجب أن نجمع النصوص الدينية في جداول متقابلة.

ثانياً: يجب أن نرتب هذه النصوص ترتيباً تاريخياً حسب زمن ظهورها، ثم نرتبها ترتيباً موضوعياً وبعد ذلك تاريخ استخدامها ومناسبات الاستخدام نفسها .. وبعد ذلك نحدد بشكل قاطع واضح أوجه الشبه، ثم أوجه الاختلافات. وعلينا أن ندرس ما كتبه غيرنا في هذا المجال لكي تتكون لنا النظرة الموضوعية. ولعلك بعد أن سمعت هذه المبادئ .. هل رأيتها في أي كتاب صدر باللغة العربية ويحمل ولو رائحة الدراسات العلمية.

إبراهيم: لا يوجد مَن كَتَبَ عندنا بهذا الشكل بعد، فالذين يهاجمون عقائد المسيحية أطباء، وآخرون محامين وهلم جرا .. ولكن هل يمكن تطبيق المبادئ التي ذكرتها على الاتهام الذي نحن بصدده؟

جرجس: نعم وبكل تأكيد .. إن قصة أوزيريس هي صراع بين اثنين من الأخوة،

قتل الأخ الشرير «ست» أخاه أوزيريس، واستطاعت ايزيس أن تعيده إلى الحياة. ولكن ليس الحياة على الأرض بل عالم الموتى، وهناك يعيش لأنه ترك عرشه لأبنه حورس. وقد ناقش العالم الألماني والأستاذ السابق بجامعة شيكاغو البروفسور هنري فرانكفورت في كتابه الديانة المصرية القديمة قصة أوزيريس وست[1]. وبالتالي لا يوجد أوزيريس على الأرض، إنه إله الموتى، وبهذا الشكل لا يمكن أن يكون أوزيريس هو الآب في المسيحية؛ لأن ست إله الشر هو أخ، ثم قصة إنجاب حورس وهي مدونة بلا تفاصيل، بل أن البعض يعتقد أن ايزيس أقدم بكثير من أوزيريس، وقد توارى أوزيريس تماماً عن الأنظار، ولكن ايزيس صارت أكثر شهرة لا سيما في العصر الروماني، أي منذ فتح الإسكندر الأكبر لمصر .. أن الآب معروف في المسيحية من العهد القديم وهو الخالق الذي خلق السماء والأرض وأوزيريس ليس كذلك بالمرة. هذا الفرق الدقيق يقضي على خرافات الديانات المقارنة. إن علماء الدراسات المصرية لو اطلعوا على هذه الكتب التي تصدر عندنا لاحتقروها. ونأتي بعد ذلك إلى فرق آخر هام: إن كلمة ثالوث لا وجود لها في النصوص الدينية المصرية القديمة. ثم ماذا تعني هذه الكلمة؟ .. تعني جوهر واحد لله وتعدد للأقانيم في داخل هذا الجوهر الواحد، وهذه الفكرة بالذات لا وجود لها إلاَّ في كتب اللاهوت المسيحي. ونقطة أخرى حاسمة إن الإله الخالق في ممفيس هو ''بتاح'' وليس أوزيريس، بينما في عين شمس القوة الخالقة هي ''رع''، أمَّا في جزيرة فيلة قرب أسوان القوة الخالقة كانت الإله خنوم الذي يرمز له بالكبش. وقد لاحظ هنري فرانكفورت أن خنوم هو ''رع'' (الكتاب السابق ص ٢٠) ولذلك دُعي خنوم رع ... وكما ذكرت لك سابقاً، يضاف

(1) Henri Frankfort: Ancient Egyptian Religion. p. 102.

إلى كل هؤلاء إله كل إقليم على حدة .. ولذلك قد يعبد المصريون في إقليم معين خمسة أو ستة أو عشرة آلهة .. كل إقليم له عدد من الآلهة .. وقد اسقط أعداء المسيحية هذه الحقائق وأعطوا لقصة أوزيريس هذا الاهتمام لمجرد وجود ثلاثة معاً في قصة مشهورة، وبالطبع فإن الدافع هنا ليس العلم ولا التاريخ وإنما التعصب الممقوت.

إبراهيم: إنني أشكر لك هذه الملاحظات الهامة التي أزاحت عن صدري الكثير من الهموم.

جرجس: الشكر لله وحده لأنه أعطانا هذه الفرصة، ووجود كتاب أو أكثر ليس هو نهاية أي موضوع، فالعقل البشري لا يمكن أن يخضع لتأثير كتاب أو أكثر والإنسان يحب الحقيقة والويل لمن يطمس الحقائق لأن التاريخ سوف يطمس اسمه.

الحوار الخامس

إبراهيم: لقد تعلمت الكثير منك، ولسوف أذكر دائماً كيف ساعدتني على فهم أهم عقيدة في الإيمان المسيحي، ولذلك أنا أسأل محبتك المزيد من المعرفة لأنني مشتاق جداً لمعرفة أكثر عن الآب والابن والروح القدس.

جرجس: إن الله واحد في ثالوث. وهذا نموذج كامل لكل ما يطلبه الإنسان عن الله .. الله واحد في ثالوث .. أي أن التعدد لا يمس الذات الإلهية نفسها، فالجوهر الإلهي واحد، لكن التعدد في الأقانيم. وهذه العقيدة الهامة تنعكس على كل شيء في الحياة. فهي مثال أو نموذج لما يجب أن تكون عليه الإنسانية: وحدة في الطبيعة الإنسانية أو جوهر واحد لكل الإنسانية مع تعدد في الأشخاص. وهذا يعني الحرص الشديد على الوحدة، وعلى التعدد. وبذلك تصبح الفروق بين الأشخاص هي طريقاً للوحدة .. هذه العقيدة تلمس فلسفة التعليم كله، لأننا في ضوء عقيدة الثالوث يجب أن نصون الوحدة الإنسانية بواسطة الاستخدام الحسن للاختلافات أو الفروق بين الأشخاص .. لو تأملت المجتمع الإنساني، وقد استوحى سلوكه اليومي من الثالوث، لوجدت أن الحياة تصبح فردوس الله على الأرض.

إبراهيم: ولكن هذه المثالية غير ممكنة أحياناً ..

جرجس: ماذا تعني بالمثالية .. ؟ إن اختفاء المثاليات تماماً من الحياة الإنسانية، معناه في النهاية انعدام التقدم البشري تماماً، وضياع كل رغبة في الحياة .. إن الإنسان يحيا على أمل التقدم، وعلى أمل أن الأحسن أو الأفضل سيأتي، فإذا أيقن الإنسان أن الأفضل لن يأتِ تقاعس وإصابة الانهيار واليأس .. الثالوث دعوة لفهم أهم ما في الحياة الإنسانية: الوحدة

والتعدد. فهي عقيدة توحي للإنسان بأن لا ينكر الوحدة، وأن يؤكد التعدد بل الوحدة والتعدد معاً، دون إنكار، أو تضخيم أيهما على حساب الآخر. وعندما ندرك هذا، نجد أن الغد دائماً هو طريق مفتوح للبحث عن الفروق لكي يستغل هذه الفروق بشكل ايجابي ولخدمة التقدم.

إبراهيم: هل لعقيدة الثالوث أثر على الصلاة؟

جرجس: إذا كنت تعني طريقة الصلاة، وموضوعات الصلاة، وهدف الصلاة، الجواب: نعم بكل تأكيد .. في ضوء عقيدة الثالوث طريقة الصلاة مختلفة لأن الثالوث ضد الفردية وحدها، ولذلك من يصلي لينمو كفرد سوف يصطدم دائماً بالثالوث، سوف لا يجد كل ما يطلبه. وطبعاً إن موضوعات الصلاة تختلف. سوف تصبح بكل تأكيد، ليس طلب الرحمة والعفو والمغفرة بشكل مجرد أو فلسفي، بل هي طلب الرحمة والعفو والمغفرة في إطار ما كشف عنه الثالوث عن الخطية.

إبراهيم: كيف كشف الثالوث الخطية؟

جرجس: الخطية ليست الاعتداء على وصايا الله فقط .. ذلك أن الوقوف عند هذه النقطة، معناه بكل تأكيد أننا أمام محكمة وقاض، وليس أمام الله. **الخطية في نور الثالوث هي التحوصل، إبقاء الإنسان على حياته لنفسه. رغبته العارمة في أن يكون فرداً فقط** .. هذه هي الخطية في جوهرها، وبالتالي فإن من يطلب الرحمة أو المغفرة عليه أن يطلب الشفاء من الأنانية. وعليه أن يطلب المغفرة على رغبته في أن يعيش لنفسه. هذه الحقيقة تطالعنا في القداسات لأن في كل مرة تقول إن الآب أرسل ابنه، أو أن الابن قدم ذاته، أو أن الروح القدس يحل .. هذه الكلمات تعني في النهاية، تأكيدٌ على العطاء، لذلك فإن الصلاة في المسيحية مختلفة تماماً عن غيرها .. الصلاة هي وقوف أمام ينبوع الرحمة والمحبة أي الله، ثم

رؤية النفس في ضوء هذا الينبوع .. هنا، الصلاة مضادة تماماً للنرجسية [٢] .. الثالوث هو تركٌ لصورة الذات، هو شفاءٌ لعقدة النرجسية في الإنسان وهي عقدة كامنة في أعماق اللاوعي، لأن الإنسان لا يكاد يطلب شيئاً أو يفكر في شيء إلاَّ في ضوء عشقه ومحبته لنفسه .. لذلك قال المسيح ''أحب قريبك كنفسك'' وقد علق أحد الآباء على هذه العبارة وقال إن محبة الآخر كمحبة النفس لا تفهم إلاَّ في عقيدة الثالوث فقط، أي محبة الآب للابن .. وفي ضوء عقيدة الثالوث فقط تصبح هذه الوصية هي دعوة للبذل وليس للأنانية.

إبراهيم: وماذا عن هدف الصلاة؟

جرجس: يقولون إن الصلاة هي صلة بين الإنسان والله، وهذا تعريف غامض للصلاة .. وقالوا أنها حديث بين المخلوق والخالق، وهذا أيضاً تعريف غير كامل. **أمَّا في ضوء عقيدة الثالوث، الصلاة هي تقديم الذات وهي طلب الآخر**. وطلب الآخر يعني عدم الانشغال بالذات، وعدم الانشغال بالذات يعني في النهاية محبة الآخر، والانشغال به، وهو السلوك الأقنومي للثالوث.

إبراهيم: أنا متزوج، فهل ترى أن الزيجة كسرٌ كنسي يمكنه أن يأخذ بركة الثالوث.

جرجس: نعم بكل تأكيد. في ضوء عقيدة الثالوث، الزيجة هي طلب للاتحاد بالتخلي عن الذات. وأعتقد أننا لا نستطيع مطلقاً أن نتكلم عن الزيجة المسيحية وبشكل مسيحي إلاَّ في إطار ما نعرفه عن علاقة الأقانيم .. فليس في الأقانيم سيد ومسود وليس في الأقانيم متقدم .. كل هذه الانحرافات لا وجود لها في عقيدة الثالوث .. إنها نماذج الفشل والسقوط والأنانية. وإذا نسينا الثالوث نسينا الزيجة في شكلها المقدس الجميل أي

(٢) النرجسية أو عشق الذات، مأخوذة من أسطورة نرجس الذي عشق صورته ومات جوعاً.

العطاء، وما الخلافات الزوجية إلاَّ تعبير عن الرغبة في السيادة لأحد الطرفين، وهو خطأ في ممارسة العقيدة .. إن الزيجة غير الثالوثية هي زيجة الأنانية، وتعني انهيار الاتحاد تحت تأثير الفروق وحدها .. وفي بعض الحالات تنهار العلاقة الزوجية عندما يتحول الطرف الآخر من أقنوم إلى فرد، أي من شخص يعطي ولا يتوقف إطلاقاً عن العطاء، إلى فرد منعزل لا يقبل إلا العزلة .. وعلينا أيضاً أن نؤكد أن الأسرة في وحدتها هي صورة أرضية للثالوث الأقدس، لأنها الوحدة مع التعدد.

إبراهيم: والبتولية؟

جرجس: ماذا أقول عن طريق الملائكة .. وكيف يمكن أن أتكلم عن شيء نعرف جميعاً أنه فائق، خصوصاً إذا تذكرنا إن البتولية ليست الامتناع عن الزواج، فهذا هو الجانب الجسدي ... هناك ترنيمة قديمة لا تزال تستخدم في الكنيسة الأثيوبية، تقول عن والدة الإله العذراء مريم ''بتول بجسدها وبتول بفكرها وقلبها''، ولذلك البتولية الروحية – وهي أيضاً خاتمة الزواج، لأننا جميعاً سوف نصل إلى هذه الدرجة الفائقة في القيامة – هذه البتولية بشكلها الايجابي هي إنكار فائق للذات من أجل الله، وهي عطاء فائق يستهين بالحياة الجسدية، ويقبل الوحدة والعزلة، لا لكي تنمو الأنانية، بل لكي يتم عطاء أكثر وأقوى، ولذلك البتولية التي تنشأ تحت تأثير الخوف من الجنس أو المعاشرات الزوجية أو ابتعاداً عن مشاكل الزواج، ليست بتولية حقيقية. والسبب الحقيقي للبتولية هو المحبة وتقديم الذات كليةً للكنيسة ولأجل الله .. والبتولية كاتحاد بالله تعني أن يصبح البتول فعلاً أقنوماً بالمعنى الصحيح للكلمة .. أي عطاء للذات إما في الصلاة أو الخدمة.

إبراهيم: متى يقبل العالم عقيدة الثالوث؟

جرجس: إذا أراد العالم أن يضع المحبة وإنكار الذات كتعبير كامل عن المحبة قبل

وبدون كرازة بعقيدة الثالوث، ولكنك ترى أن الصراعات السياسية والعادات الاجتماعية والتعليم والحياة الاقتصادية، كلها تدعم في الإنسان التسلط وشهوة السيادة، ومحبة الذات، وهذه كلها سدود، تحول دون تذوق عقيدة الثالوث أو إدراك الأهداف الروحية لهذه العقيدة. ومتى سيقبلها العالم؟ لست أدري.

إبراهيم: ماذا يجب عليك أن تقول لي في النهاية لأننا قد لا نلتقي؟

جرجس: حاول أن تختبر وأن تراجع كل ما تختبره على أساس ما تعرفه عن الثالوث، لأن معرفتك بهذه العقيدة هو بداية اقتناء التمييز الروحي بين الحق والباطل وبين الخير والشر.

خاتمة

إذا كنت لم تفهم ما قيل، ربما استطعت أن تدرك معنى كل ما ذكرناه من هذه السطور، فهي قلب أو خلاصة ما دار حوله الحديث، تغيَّر عن شكلك لكي يتغير إيمانك، وتقدم نحو سر الثالوث. لأن صورة الله يجب أن تصبح صورة حقيقية لله. أمَّا الصورة غير الكاملة فهي تلك التي نضعها أمامك:

الله واحد فقط: مبهم	الله واحد في ثالوث: سر
الله واحد فقط: رئاسة وسيادة	الله واحد في ثالوث: اتضاع وبذل
الله واحد فقط: عزلة	الله واحد في ثالوث: شركة
الله واحد فقط: صورة الإنسان كسيد	الله واحد في ثالوث: إعلان عن الإله الحقيقي
الله واحد فقط: صوت ضمير الفرد	الله واحد في ثالوث: صوت العطاء
الله واحد فقط: محدود	الله واحد في ثالوث: حياة أبدية
الله واحد فقط: صورة الأنانية	الله واحد في ثالوث: نموذج المحبة
الله واحد فقط: صورة عزلة الأنا	الله واحد في ثالوث: كمال الأنا بغيرها